الأحاديث النبوية الواردة في المفاضلة بين الملائكة الكرام وبينهم وبين البشر ـ دراسة عقدية

أ. وجدان بنت عبدالإله الجحدلي*, د. عائشة بنت محمد القرني**

سلم البحث في ١٤٤٧/٨/٢٦هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٤٧/٨/٢٩هـ

ملخص البحث:

يبرز هذا البحث "المسائل العقدية المتعلقة بالمفاضلة بين الملائكة الكرام وبينهم وبين البشر" معتمدة على شرح الأحاديث الواردة في ذلك، واستنباط ذلك منها. مع دراسة المسائل العقدية الأخرى التي اشتملت عليها تلك الأحاديث.

الإيمان بالملائكة الكرام هو ركن من أركان الإيمان الستة، وحتى يكون إيمانا سليما صحيحا فلابد من الإيمان بكل ما جاء متعلقا بهم. ويخلص البحث إلى أن الملائكة الكرام متفاضلون فيما بينهم فهم على مقامات ومراتب، وأن مسألة التفاضل بينهم وبين البشر مسألة تفصيلية بحسب ما دلت عليه النصوص الشرعية. ويوصي البحث إلى ضرورة العناية بباب الإيمان بالملائكة لما له من أثر بالغ في ترسيخ الإيمان بالغيب، ويوصي بإبراز منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع نصوص المفاضلة بدون إفراط ولا تفريط.

الكلمات المفتاحية: الملائكة، العصمة، أبواب السماء، التفاضل.

Abstract

This study examines the doctrinal issue of preference (comparative merit) among the noble angels and between angels and human beings through an analytical study of the relevant prophetic traditions (ḥadīths) and the theological implications derived therefrom. It also addresses several related doctrinal questions encompassed within these narrations.

Since belief in the noble angels constitutes one of the six pillars of faith, a sound creed necessitates affirming all that is authentically established regarding them in the revealed texts. The study demonstrates that angels differ among themselves in rank and status, occupying varying degrees and levels. It further argues that the question of preference between angels and human beings is a nuanced theological issue that cannot be addressed in absolute terms, but rather requires careful differentiation in light of the textual evidence.

The study concludes by emphasizing the importance of adhering to the methodology of Ahl al-Sunnah wa al-Jamāʿah in engaging with such

* باحثة بتخصص العقيدة والدعوة. كلية الآداب والعلوم الإنسانية– قسم الشريعة والدراسات الإسلامية, جامعة الملك عبد العزيز, المملكة العربية السعودية.

** أستاذ العقيدة المشارك بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية– كلية الآداب والعلوم الإنسانية–جامعة الملك عبد العزيز. المملكة العربية السعودية.

issues, through a balanced approach that avoids both excess and negligence. It also recommends giving greater scholarly attention to the doctrine of belief in angels due to its profound role in strengthening faith in the unseen.
Keywords: angels, infallibility, gates of heaven, differentiation.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، والصلاة والسلام على سيد ولد آدم وخاتم النبيين والمرسلين نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فيعد الإيمان بالملائكة الكرام الركن الثاني من أركان الإيمان والتي يقوم عليها أساس العقيدة الإسلامية الصحيحة، ولا يستقيم إيمان العبد إلا بتحقيقه على الوجه الذي دلّ عليه الكتاب والسنة. فالملائكة عالمٌ غيبيٌّ عظيم، خلقهم الله تعالى من نور، وجعلهم عبادًا مكرمين. والإيمان بالملائكة هو: التصديق الجازم بوجودهم، وبما ثبت في النصوص الشرعية من أسمائهم وصفاتهم وأعمالهم. ويسعى هذا البحث إلى دراسة مجموعة من الأحاديث النبوية الصحيحة الواردة في المفاضلة بين الملائكة أنفسهم، وكذلك الأحاديث المتعلقة بالمفاضلة بينهم وبين البشر. وسيتم تناول هذه النصوص بالشرح، مع الجمع بين دلالة النصوص وفهم السلف الصالح. ويعقب ذلك استنباط جملة من المسائل العقدية الأساسية المتعلقة بالموضوع.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الحاجة إلى دراسة الأحاديث النبوية التي تناولت المفاضلة بين الملائكة الكرام وبينهم وبين البشر، وتفسير دلالاتها العقدية وبيان مراتبهم ومقاماتهم.

أسئلة البحث:

يسعى البحث إلى الإجابة على التساؤلات التالية:

- ماحكم الإيمان بالملائكة وماهو معناه؟
- ماهي الأحاديث الواردة في المفاضلة بين الملائكة الكرام وبينهم وبين البشر؟ وماهي طريقة السلف الصالح في فهم هذه النصوص والجمع بينها؟
- ما حقيقة تفاضل الملائكة فيما بينهم في المراتب والمقامات؟ وبينهم وبين البشر؟
- كيف تسهم الأحاديث النبوية في ترسيخ مفاهيم مهمة مثل: عصمة الملائكة وتفاوت مقاماتهم؟

أهداف البحث:

- توضيح معنى الإيمان بالملائكة الكرام ومكانته في العقيدة الإسلامية.
- جمع ودراسة الأحاديث النبوية المتعلقة بالمفاضلة بين الملائكة الكرام وبينهم وبين البشر، وشرح دلالتها من منظور عقيدة السلف الصالح.
- استنباط المسائل العقدية من هذه الأحاديث والمتعلقة بعنوان البحث، والمسائل العقدية الأخرى الواردة في الأحاديث مثل: اثبات صفة الكلام لله تعالى، والاعتقاد بأن للسماء أبوابا على

الحقيقة لا المجاز.

- الإسهام في ترسيخ الفهم العقدي الصحيح لموضوع الإيمان بالملائكة.

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث كونه متصلا بأحد أصول العقيدة الإسلامية وواحد من أركان الإيمان الستة، وتعزيز الفهم الصحيح للأحاديث الواردة في مسألة التفاضل بين الملائكة الكرام وبينهم وبين البشر.

الدراسات السابقة:

تناولت مصنفات العقيدة الحديث عن الإيمان بالملائكة الكرام على أنه واحد من أركان الإيمان الستة بشكل عام، وماورد فيه من نصوص شرعية تتعلق بذلك. وماقامت عليه الدراسة هو جمع الأحاديث النبوية المتعلقة بموضوع المفاضلة فيما بينهم، وفيما بين البشر ودراستها دراسة عقدية باستنباط المسائل العقدية الأساسية والفرعية الواردة فيها، ، وهنا تبرز الحاجة إلى معالجتها بعمق وفق منهج أهل السنة والجماعة.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المناهج التالية:

- المنهج الاستقرائي: بجمع الأحاديث النبوية المتعلقة بالمفاضلة بين الملائكة وبينهم وبين البشر.
- المنهج التحليلي: لشرح الأحاديث ودراسة دلالاتها العقدية.
- المنهج الاستنباطي: لاستنباط المسائل العقدية من الأحاديث.
- المنهج المقارن (عند الحاجة): لمقارنة آراء العلماء والسلف الصالح في تفسير المفاضلة بين الملائكة والبشر.

خطة البحث:

المقدمة، وتشمل: مشكلة البحث، تساؤلات البحث وأهدافه، أهميته، ومحتويات البحث.

المبحث الأول: الإيمان بالملائكة، حكمه ومعناه.

المبحث الثاني: شرح الأحاديث الواردة في المفاضلة بين الملائكة الكرام، وبينهم وبين البشر.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المستنبطة من الأحاديث، وهي:

- إثبات تفاوت الملائكة الكرام وتفاضلهم في مقاماتهم.
- بيان حقيقة التفاضل بين الملائكة والبشر.
- إثبات عصمة الملائكة.
- إثبات صفة الكلام لله تعالى.
- إثبات أن للسماء أبوابا على الحقيقة لا المجاز.

الخاتمة، وتشمل النتائج والتوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: الإيمان بالملائكة الكرام، حكمه ومعناه

إن الإيمان بالملائكة هو ركن من أركان الإيمان الستة، والركن في اللغة: هو جانبه الأقوى ويأتي بمعنى العز والمنعة[1]، وفي الاصطلاح هو: الداخل في حقيقة الشيء المحقق لماهيته[2]، وعليه يصبح الإيمان قائما ماكانت هذه الأركان قائمة وينتفي وجوده متى ما انتفى ركن واحد منها. وانكار ركن من الأركان جملة أو تفصيلا هو انكار لجميعها. قال تعالى {ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ} [سورة البقرة: ٢٨٥]، وقال تعالى{* لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ } [سورة البقرة: ١٧٧]، ولقد جعل الله سبحانه وتعالى معنى الإيمان هو الإيمان بهذه جملة، وسماهم مؤمنين، كما جعل الكافرين هم من كفروا بهذه جملة، قال تعالى: { وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾} [سورة النساء: ١٣٦].[3]

أولا: معنى الملائكة لغة:

أصله مألك بتقديم الهمزة، من الألوك وهي الرسالة، ثمَّ قُلِبتْ وقدِّمتْ اللام فقيل ملأَكٌ ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال، فقيل مَلَكٌ، فلمَّا جمعوه ردُّوها إليه فقالوا ملائكة وملائك أيضا، وجاء في المعجم الوسيط: (الْملك) وَاحِد الْمَلَائِكَة أَصله مألك من الألوكة ثمَّ تصرفوا فِي لَفظه لتخفيفه فَقَالُوا ملأك ثمَّ نقلوا حَرَكَة الْهمزَة إِلَى اللَّام وحذفوا الْهمزَة فَقَالُوا ملك (ج) ملائك وملائكة[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "والملك في اللغة: حامل الألوكة وهي الرسالة"[5].

وعليه فإن الملائكة هم رسل الله إلى من اصطفاهم واختارهم من البشر ليكونوا رسلا منه للناس في تبليغ الوحي والشرائع.

---

[1] معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (دار الفكر،١٣٩٩هـ)، ج٢/٤٣٠.

[2] ينظر: المهذب في علم أصول الفقه المقارن، عبدالكريم بن علي النملة، ط١(مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٠هـ)، ج٥/١٩٦٣.

[3] شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين ابن أبي العز. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبدالله بن الحسن التركي، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٠، ١٤١٧هـ)، ج٢/ ٤٠١.

[4] ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، تحقيق: أحمد عبدالغفور العطار، ط٤(دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ)، ج٤/١٦١١. أيضا: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (دار الدعوة، القاهرة)، ج١/٢٤.

[5] ينظر: النبوات، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: عبدالعزيز الطويان، ط١(الرياض، أضواء السلف، ١٤٢٠هـ)، ج٢/ ٧٢٠.

ثانيا: الملائكة اصطلاحا:

جاء في تعريفهم: أنهم أجسام نورانية ـــ لطيفة أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة والتمثل والتصور بالصور الكريمة، ولهم قوى عظيمة، وقدرة كبيرة على التنقل، وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله، قد اختارهم الله واصطفاهم لعبادته والقيام بأمره، فلا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، خلقهم الله من نور[١].

ثالثا: معنى الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة يقصد به التصديق بوجودهم، وإنزالهم منازلهم وإثبات أنهم عباد الله وخلقه كالإنس والجن، مأمورون مكلفون لا يقدرون إلا على ما يقدر لهم الله تعالى، والموت جائز عليهم ولكن الله جعل لهم أمدا بعيدا، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى ولا يدعون آلهة كما ادعى المشركون. والتصديق بأن منهم رسلا لله تعالى يرسلهم إلى من يشاء من البشر. وقد يحوز أن يرسل بعضهم إلى بعض ويتبع ذلك التصديق التام بكل ماورد من أخبار تفصيلية عنهم[٢].

وعليه فإن الإيمان بالملائكة: هو الإيمان بوجودهم إيمانا جازما لا يتطرق إليه شك، ولا ريب، وأهل السنة والجماعة: يؤمنون بوجودهم، وأنهم عباد مخلوقون، خلقهم الله تعالى من نور، وهم ذوات حقيقية، وليسوا قوى خفية، وهم خلق من خلق الله تعالى[٣]. ومن الإيمان بهم، الإيمان بأنهم خلق كثير جدًّا لا يعلم عددهم إلا الله تعالى كما قال تعالى: { وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ } [سورة المدثر:٣١]، وكذلك موالاتهم والحذر من عداوتهم لقوله تعالى: {مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾} [سورة البقرة:٩٨].

المبحث الثاني

شرح الأحاديث الواردة في المفاضلة بين الملائكة الكرام، وبينهم وبين البشر

١-عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ[٤] -رضي الله عنه- عَنْ أَبِيهِ[١]، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ، قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ

---

[١] ينظر: مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر بن علي عايض الشيخ، ط١(مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٥هـ)، ص٤٣٥. أيضا: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ)، ص٩٩.

[٢] ينظر: المنهاج في شعب الإيمان، الحسين بن الحسن بن محمد الجرجاني، تحقيق: حلمي محمد فودة، ط١(دار الفكر، ١٣٩٩هـ)، ج١/٣٠٢.

[٣] ينظر: الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، عبدالله بن عبدالحميد الأثري، (مدار الوطن، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ)، ص١٣١.

[٤] هو معاذ بن رفاعة الزرقي الأنصاري، من أهل المدينة يروي عن أبيه وعن جابر بن عبدالله، شهد بدرا وكان من النقباء، مات في أول خلافة معاوية. ينظر: الثقات، محمد بن حبان بن أحمد، اشراف: محمد عبدالمحيد خان،

الْمُسْلِمِينَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ".[٢]

شرح الحديث:

جاء هذا الحديث الشريف في باب (من شهد بدرا من الملائكة)، وهو يثبت فضل أهل بدر على سائر الصحابة رضوان الله عليهم ويثبت فضل من حضرها من الملائكة كجبريل عليه السلام على سائر الملائكة. قَوْله: (وَكَانَ أَبوهُ) ، أَي: أَبُو معَاذ هُوَ رِفَاعَة من أهل بدر قَوْله: (أَو كلمة نَحْوهَا)[٣] ، شكّ من الرَّاوِي أَي: أَو قَالَ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، كلمة نَحْو. قَوْله: (من أفضل الْمُسلمين) نَحْو قَوْله: من خِيَار الْمُسلمين، كَمَا جَاءَ فِي رِوَايَة الْبَيْهَقِيّ، سَأَلَ جِبْرِيل النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: كَيفَ أهل بدر فِيكُم؟ قَالَ: خيارنا. قَوْله: (قَالَ: وَكَذَلِكَ) أَي: قَالَ جِبْرِيل، عَلَيْهِ السَّلَام: من شهد بَدْرًا من الْمَلَائِكَة هم من أفضلهم أَيْضا، وَفِي رِوَايَة الْبَيْهَقِيّ: (قَالَ: وَكَذَلِكَ من شهد بَدْرًا من الْمَلَائِكَة)[٤]. ولقد جاء في السؤال عن الحكمة من قتال الملائكة الكرام مع النبي صلى الله عليه وسلم بالرغم من قدرة جبريل عليه السلام على دفع الكفار في أرض المعركة بريشة من جناحه، وجواب ذلك أنه والله أعلم المقصود أن يكون الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وأن تكون الملائكة الكرام بمثابة المدد في أرض المعركة على عادة مايحدث غالبا في الجيوش؛ رعاية لصورة الأسباب وسنتها التي أجراها الله تعالى في عباده، والله تعالى هو الفاعل للجميع[٥].

٢-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي

ط١(حيدر آباد الهند، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٣هـ)، باب الميم ج٥/٤٢١. أيضا: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف جمال الدين المزي، تحقيق: بشار معروف، ط١(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ)، ج٩/٢٠٣

[١] هو رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان، يكنى أبا معاذ، شهد العقبة وبدرا وأحد والخندق وبيعة الرضوان. ينظر: أسد الغابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبدالكريم عز الدين ابن الأثير، د.ط(بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩هـ)، ج٢/٧٣.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا، ج٥/٨٠ (٣٩٩٢). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر،ط١ (دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)

[٣] في هذا دليل على حرص صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواة الحديث الثقات في التثبت فيما ينقلوه عن النبي عليه الصلاة والسلام.

[٤] ينظر: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد الحنفي بدر الدين العيني، د.ط(بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ج١٧/١٠٤.

[٥] ينظر: مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه، محمد بن علي آدم بن موسى، ط١(الرياض، دار المغني، ١٤٢٧هـ)، ج ٣/٤١٧.

جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ ".[١]

شرح الحديث:

هذا الحديث يورده شراح الحديث في باب إثبات صفة الكلام لله تعالى، فالله سبحانه وتعالى متكلم وذو كلام، أي أن الكلام صفة ذاتية، وأنه لم يزل متكلما ولا يزال. وأنه لايشبه كلام المخلوقين، إذ ليس بحروف ولا تقطيع بفم، وليس من شرطه أن يكون بلسان وشفتين وآلات، وحقيقته أن يكون مسموعا مفهوما، ولا يليق بالباري تعالى أن يستعين في كلامه بالجوارح والأدوات، فمن قال: لم أشاهد كلامًا إلا بأدوات لزمه التشبيه؛ إذ حكم على الله بحكم المخلوقين، وخالف قوله تعالى { لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ } [سورة الشورى: ٤] [٢].

كما أن هذا الحديث يدل على صفة المحبة لله تعالى، والتي من لوازمها رحمته تعالى بالعبد، ومحبة الله للعبد إرادة إيصال الخير إليه بالتقرب إليه والإنابة، وإعلام الله تعالى للملأ الأعلى بهذه المحبة هو تشريف وتكريم للعبد، ومحبة الملائكة له هو ثناؤهم عليه واستغفارهم له، ومن ثم يوضع له المحبة والرضى عند أهل الأرض من غير ما يتودد لهم ولا يبذل الأسباب الجالبة لكسب قلوبهم وإنما هو كرم من الله تعالى لأوليائه الذين يحبهم، كما أن هذا الحديث يدل على فضل جبريل عليه السلام وتكريم الله عز وجل له [٣].

٣- عن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف[٤] -رضي الله عنه- قال: سألت عائشة -رضي الله عنها-: بأي شيء كان نبي الله -صلى الله عليه وسلم- يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل كان يفتتح صلاته: "اللهمَ ربّ جبريلَ وميكائيل وإسرافيل، فاطِرَ السماواتِ والأرض، عالمَ الغيبِ والشهادةِ، أنت تحكمُ بين عِبادِك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدِني لِمَا اختُلِفَ فيه من الحقِّ بإذنِكَ، إنك تهدي مَن تشاءُ إلى صِراطٍ مستقيم" [(٥)].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة، ج١٤٢/٩ (٧٤٨٥).

[٢] ينظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي الشافعي المصري، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط١(دمشق، دار النوادر، ١٤٢٩هـ)، ج٤١٨/٣٣.

[٣] ينظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف شمس الدين الكرماني، ط٢(بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠١هـ)، ج١٨٢/٢٥. أيضا: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبدالله بن محمد الغنيمان، ط١(المدينة المنورة، مكتبة الدار، ١٤٠٥هـ)، ج٣٣٠/٢.

[٤] تابعي، ابن الصحابي عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، من أعلام المدينة قيل اسمه عبدالله وقيل إسماعيل، وقيل كنيته هي اسمه، ثقة، حجة، كبير القدر، أرضعته أم كلثوم رضي الله عنها لذلك عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها خالته بالرضاعة، توفي سنة أربعة وتسعين في خلافة الوليد. ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبوعبدالله محمد الذهبي، تحقيق:مجموعة من المحققين بإشراف:شعيب الأرنؤوط، ط٣(مؤسسة الرسالة،بيروت، ١٤٠٥هـ)، ج٢٨٧/٤.

[(٥)] رواه أبو داوود في سننه، باب مايستفتح به الصلاة من الدعاء، ج٢/ ٧٨ (٧٦٧). قال عنه الألباني :حديث حسن. سنن أبي داوود، سليمان بن الأشعث الأزدي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قرة، ط١(دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠).

شرح الحديث:

إن هذا الحديث الشريف يدل على التفاضل بين الملائكة الكرام وأن لهم مقامات ويدل كذلك على أنه من الواجب على المؤمن اعتقاد ذلك ضمن الإيمان بهم كركن من أركان الإيمان الستة.

لقد خصص الرسول صلى الله عليه وسلم هؤلاء الثلاثة من الملائكة بالإضافة إلى الله تعالى -مع أنه تعالى رب كل شيء- لتشريفهم وتفضيلهم على غيرهم، وقدّم جبريل عليه السلام لأنه أمين الكتب السماوية فسائر أمور الدين راجعة إليه وأخّر إسرافيل لأنه أمين اللوح المحفوظ والصور فإليه أمر المعاش والمعاد ووسّط ميكائيل لأنه أخذ بطرف من كل منهما فهو أمين القطر والنبات ونحوهما مما يتعلق بالأرزاق التي يحتاجها الإنسان لتقوم أمور دينه ودنياه وآخرته. ثم يكمل عليه الصلاة والسلام ثناءه على الله بأنه مبدع السموات والأرض، وهو العالم بالغيب والشهادة، وهو الحاكم المميز يوم القيامة بين المحق والمبطل بالثواب والعقاب فيما اختلفوا فيه من أمر الدين في أيام الدنيا، ثم دعا بأن يمكنه ويسخر له السير على الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وهذا يدل على مشروعية طلب الهداية والتوفيق منه سبحانه وتعالى [1].

٤- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رضي الله عنه- قَالَ: صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمَغْرِبَ، فَرَجَعَ مَنْ رَجَعَ، وَعَقَّبَ مَنْ عَقَّبَ[2]، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُسْرِعًا، قَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ[3]، وَقَدْ حَسَرَ عَنْ رُكْبَتَيْهِ[4]، فَقَالَ: "أَبْشِرُوا، هَذَا رَبُّكُمْ قَدْ فَتَحَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ، يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ، يَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي قَدْ قَضَوْا فَرِيضَةً، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخْرَى"[5].

شرح الحديث:

إن هذا الحديث الشريف يبين فضل الركن الثاني من أركان الإسلام، وأن الحرص عليها هو حرص على صلة العبد بربه، ويدل على فضل انتظار صلاة الجماعة والجلوس في

---

[1] ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير أبو عبدالرحمن شرف الحق العظيم آبادي، ط٢(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ج٢/٣٣٤.

[2] التعقيب في الصلاة هو الجلوس بعدها لدعاء أو مسألة. ينظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه=كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، محمد بن عبدالهادي التتوي أبو الحسن نور الدين السندي، د.ط(بيروت، دار الجيل، د.ت)، ج١/٢٦٧ (٨٠١).

[3] أي أعجله النفس. ينظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه، أبو الحسن نور الدين السندي، ج١/٢٦٧ (٨٠١).

[4] كشف عنها وفيه دليل على أن الركبة ليست بعورة. ينظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه، أبو الحسن نور الدين السندي، ج١/ ٢٦٨ (٨٠١).

[5] أخرجه ابن ماجه في سننه، باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة، ج١/ ٥١٣ (٨٠١). صححه الألباني.

المسجد عقب الصلاة وأن ذلك سبب لأن يباهي الله ملائكته بعباده المصلين والجالسين في المساجد انتظارا للصلاة أو للدعاء أو لمسألة معينة[١].

المبحث الثالث

المسائل العقدية المتعلقة في المفاضلة بين الملائكة، وبينهم وبين البشر

المسألة الأولى: الملائكة الكرام مقامات ومتفاضلون فيما بينهم:

الإيمان بالملائكة ركن عظيم من أركان الإيمان الستة والكفر بهم أو بشيء مما ثبت عنهم في القرآن الكريم وصحيح السنة يعتبر كُفرا مخرجا عن الملة، ومن أهم ما يتضمنه الإيمان بهم هو الإقرار أن لهم مقامات عظيمة عند الله عز وجل وبكرمهم وشرفهم عنده سبحانه، قال تعالى {وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦} [سورة الأنبياء: ٢٦]، والاعتقاد بتفاضلهم فيما بينهم وعدم تساويهم -برغم كرمهم وشرفهم عند الله عز وجل- في الفضل والمنزلة وذلك بناء على ماجاء في القرآن الكريم، قال تعالى {ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥} [سورة الحج: ٧٥]، وقال عز وجل: {لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ} [سورة النساء: ١٧٢]، دلت هذه الشواهد وغيرها على أن هناك تفاضلا بين الملائكة الكرام سواء كان ذلك بالاصطفاء بالرسالة أو درجة القرب أو نوع الوظيفة.

إن أعظم الملائكة مقاما هم جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام؛ ولذلك توسّل النبي صلى الله عليه وسلم بربوبية الله للثلاثة عليهم السلام، ومن أشرافهم حملة العرش، وكذا من حضر غزوة بدر من الملائكة كما دل على ذلك حديثه عليه الصلاة والسلام. وفي كل سماء من الملائكة ما لا يعد ولا يحصى، وهؤلاء أيضا لكل منهم مقام معلوم وفيهم المقربون، لذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم عن صعود روح المؤمن وعروجها بعد موته "فيصعدون بها، فلا يمرون- يعني بها- على ملإ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها"[٢].[٣]

---

[١] ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو عبدالرؤوف بن تاج العارفين الحدادي، ط١،(مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ)، ج١٣/٧.

[٢] أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند الكوفيين، حديث البراء بن عازب، ج٣٠/ ٥٠٠ (١٨٥٣٤). أخرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) ج٥٠/٣ (٤٢٦٧) وقال " رجاله رجال الصحيح". ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، د.ط(القاهرة، مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ).

[٣] ينظر: كتاب الإيمان الذي فرضه الله على عباده مما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، د/محمد السحيم، ط٣(الرياض، دار العقيدة، ١٤٤٣هـ)، ص ٣١.

جاءت نصوص القرآن الكريم والسنة والنبوية بإثبات فضل جبريل عليه السلام على سائر المقربين من الملائكة، ولقد ذكره الله سبحانه باسمه ووصفه ، قال تعالى {قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾} [سورة البقرة: ٩٧]، وجبريل عليه السلام كما ذكره سبحانه بالاسم خاصة ذكره كذلك بأعظم الصفات حيث وصفه بأنه أمين غير ذي تهمة، قال الله تعالى: {وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾} [سورة التكوير: ٢٤]، وقد ذكره الله في القرآن الكريم بما لم يذكر به غيره، وسماه بأشرف الأسماء، فمن أسمائه (الروح) قال تعالى:{نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾} [سورة الشعراء: ١٩٣]، وقال عز وجل:{تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾} [سورة القدر: ٤]، وقد أضاف الله عز وجل هذا الاسم إليه إضافة تشريف وتكريم، قال تعالى: {فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾} [سورة مريم: ١٧]، ومما جاء في وصفه عليه السلام قوله تعالى: {إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾} [سورة التكوير: ١٩-٢١]، وقال تعالى { عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾} [سورة النجم: ٥-٦]، فوصفه الله تعالى بأنه رسول وأنه كريم عنده، وأنه ذو قوة ومكانة عند ربه سبحانه، وأنه مطاع في السماوات، وأنه أمين على الوحي وأنه ذو مرة (أي مظهر حسن)[1].

مما يتم به كمال الاعتقاد في تفاضل الملائكة الكرام -بعد فضل جبريل عليه السلام- الاعتقاد بفضل ميكائيل وإسرافيل عليهما السلام ، ولقد خص النبي صلى الله عليه وسلم ذكرهم في الدعاء لفضل وشرف عملهم، فميكائيل عليه السلام موكل بالقطر والنبات وإسرافيل عليه السلام موكل بالنفخ في الصور، وذلك لأن الثمرة الناتجة عن عملهم هي الحياة؛ فجبريل موكّل بالوحي الذي به حياة القلوب، وميكائيل موكّل بالقطر والنبات الذي فيه حياة الأرض بعد موتها، وإسرافيل موكّل بالنفخ في الصُّور الذي فيه حياة الأجسام بعد موتها، فكلّهم موكلون بالحياة، هذا بحياة القلوب بالوحي، وهذا بحياة الأرض بالماء والقطر، وهذا بحياة الأجساد يوم القيامة ونفخ الأرواح فيها[2].

المسألة الثانية: المفاضلة بين الملائكة الكرام وبين البشر:

من المسائل العظيمة التي دار حولها كثير من الاختلافات المفاضلة بين البشر والملائكة، تباينت فيها أقوال الأئمة من أهل السنة والجماعة والفرق المختلفة،وكلٌ منهم بيّن سر التفضيل

---

[1] ينظر: كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، ط١(المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ١٤٢١هـ)، ص١٠٩.

[2] ينظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان الفوزان، ط٣،(مؤسسة الرسالة، ١٤٢٣هـ)، ص ٢٣٥.

وأورد أدلته على ذلك.

يقول ابن القيم رحمه الله:" على المتكلم في هذا الباب أن يعرفَ أسبابَ الفضل أولا، ثم درجاتها، ونسبة بعضها إلى بعض، والموازنة بينها ثانيًا، ثم نسبتها إلى من قامت به ثالثا كثرةً وقوةً، ثم اعتبار تفاوتها بتفاوت محلّها رابعا، فرُبَّ صفة هي كمالٌ لشخص وليست كمالا لغيره، بل كمالُ غيرِهِ بسواها، فكمالُ خالد بن الوليد بشجاعته وحروبه. وكمالُ ابن عباس بفقهه وعلمه. وكمال أبي ذرٍّ بزهده وتجرُّده عن الدنيا، فهذه أربع مقامات يضطر إليها المتكلِّمُ في درجات التفضيل[١]، وتفضيل الأنواع على الأنواع أسهلُ من تفضيل الأشخاص على الأشخاص، وأبعدُ من الهوى والغرض. وهاهنا نكتةٌ خفيَّةٌ لا يتنبَّهُ لها إلا منْ بصَّرَهُ اللهُ، وهي: أن كثيرا ممن يتكلَّمُ في التفضيل يستشعرُ نسبتَه وتعلقَه بمن يفَضِّله ولو على بُعْد، ثم يأخذ في تقريظه وتفضيله، وتكون تلك النسبةُ والتعلُّقُ مُهَيِّجةً له على التفضيل، والمبالغة فيه، واستقصاء محاسن المُفَضَّل، والإغضاء عما سواها، ويكون نظره في المفضَّل عليه بالعكس. ومن تأمَّل كلامَ أكثر الناس في هذا الباب رأى غالِبَهُ غيْرَ سالم من هذا، وهذا منافٍ لطريقة العلم والعدل التي لا يقبلُ اللهُ سواها، ولا يرضى غيْرَها، ومن هذا تفضيلُ كثير من أصحاب المذاهب والطرائق وأتباع الشيوخ، كلٌّ منهم لمذهبه أو طريقته أو شيخه"[٢].

قبل عرض الأقوال في مسألة التفاضل لابد من التنبيه على أن الواجب على المسلمين هو الإيمان بالملائكة الكرام بجميع مراتبهم وإنزالهم منازلهم وإكرامهم بما كرمهم به الله عز وجل وشرفهم، وأن مسألة التفاضل ليست من المسائل التي تكلم بها الصدر الأول من الأمة وأنه لا يترتب عليها أصل عقائدي أو ينتج عنها مقاصد أساسية في الدين؛ لذلك هناك كثير من المصنفات التي لم تتعرض لهذه المسألة وكثير من العلماء توقف عن الحديث فيها واعتبرها من بدع المسائل التي لا طائل من ورائها. وقد يسأل سائل لماذا تناول بعض العلماء هذه المسألة؟ فذلك لأن بعض الجاهلين يسيئون الأدب بقولهم: كان الملك خادما للنبي صلى الله عليه وسلم، أو إن بعض الملائكة خدام بني آدم- يعنون الملائكة الموكلين بالبشر- ونحو ذلك من الألفاظ المخالفة للشرع والمجانبة للأدب. والتفضيل إذا كان على وجه التنقص أو الحمية والعصبية للجنس لا شك في رده فكان هذا هو الدافع لتناول المسألة[٣].

---

[١] للاستزادة في معرفة قواعد قياس التفاضل بين الأشياء من حيث الصفات والأعراض، ينظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين محمد بن أحمد السفاريني، ط٢(دمشق، مؤسسة الخافقين، ١٤٠٢هـ)، ص٤١٠-٤١٥.

[٢] بدائع الفوائد، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، تحقيق: علي العمران، ط١(دار عالم الفوائد، مكة المكرمة،١٤٢٥هـ)، ج٣/١١٠٥.

[٣] ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي ابن أبي العز، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبدالله التركي، ط١٠(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ)، ج٢/٤١٠-٤١٣.

إن مسألة المفاضلة بين الملائكة والبشر فصّل فيها بعض علماء السنة وقالوا: إن لها صورا ثلاثا، (الصورة الأولى) التفضيل بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبين الملائكة الكرام، (الصورة الثانية) التفاضل بين خواص الملائكة وأولياء البشر وهم من عدا الأنبياء، (الصورة الثالثة) التفضيل بين أولياء البشر وغير الخواص من الملائكة، وفيما يلي تفصيل الأقوال فيها.

مايقوم عليه معتقد أهل السنة من سلف الأمة وكبار الأئمة هو تفضيل أعيان البشر - وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء- والأنبياء أفضل من الأولياء وهم أفضل من الملائكة الكرام. قال الإمام أبو الوفا بن عقيل[1]: الصحيح تفضيل الأنبياء والصالحين على الملائكة، والملائكة أفضل من الفسقة، وقال مرة: الأنبياء أفضل من الملائكة، وجبريل وإسرافيل وميكائيل أفضل من الأولياء. وقيل: كل مؤمن أفضل من الملائكة، وقال الإمام العلامة أبو بكر عبدالعزيز بن جعفر المشهور بـ(غلام الخلال) رحمه الله[2]: من كان خيره أكثر من شره فهو خير من الملائكة وإلا فإن البهائم خير منه، وقيل: من غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلبت شهوته فالبهائم خير منه.[3]

جاء عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عندما سئل عن صالحي بني آدم والملائكة أيهما أفضل؟ فأجاب: " بأن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية والملائكة أفضل باعتبار البداية فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهون عما يلابسه بنو آدم مستغرقون في عبادة الرب ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر. وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فيصير صالحو البشر أكمل من حال الملائكة".[4]

أكدّ شيخ الإسلام أن مسألة التفضيل بين الملائكة والبشر ليست محدثة وإنما هي مسألة أثرية سلفية صحابية تحدث فيها السلف الصالح؛ ولذلك انبعثت همته -رحمه الله-

---

[1] هو أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد، العلامة الإمام شيخ الحنابلة، سكن الظفرية شرق بغداد، كان بحر معارف، قال عنه ابن الجوزي: كان دينا وحافظا للحدود، توفي(٥١٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط٣(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ)، ج١٩/٤٤٣.

[2] هو أبو بكر عبدالعزيز بن جعفر بن أحمد البغدادي، تلميذ أبي بكر الخلال، شيخ الحنابلة، سمع في صغره من محمد بن أبي شيبة، وموسى بن هارون، كبير الشأن خاصة في الفقه، وكان معظما في النفوس متقدما عند الدولة، توفي سنة(٣٦٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط٣(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ)، ج١٦/١٤٤.

[3] ينظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، ط٢(دمشق، مطبعة الخافقين، ١٤٠٢هـ)، ج٢/٣٩٨.

[4] مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية، د.ت(المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ)، ج٤/٣٤٣.

لتحقيق لقول فيها، ولقد ساق مجموعة من الأدلة التي تؤكد صحة ماذهب إليه أهل السنة والسلف رحمهم الله ومنها على سبيل المثال لا الحصر[١]:

الدليل الأول: هو سجود الملائكة الكرام كلهم أجمعين لآدم عليه السلام ولعن الممتنع عن السجود له، وهذا تشريف وتكريم له. وذكر شيخ الإسلام أن البعض يقول: أنهم سجدوا لآدم باعتباره قبلة كما يُسجد إلى الكعبة وليس في هذا تفضيل له عليهم كما أن السجود إلى الكعبة ليس فيه تفضيل للكعبة على المؤمن عند الله بل حرمة المؤمن عند الله أفضل من حرمتها بل وإضافة إلى ذلك فإن السجود لغير الله محرم بل كفر. والصحيح أن السجود كان لأدم بأمر الله عز وجل وقد فرضه تعالى على جميع الملائكة بلا استثناء تشريفا لآدم وليس باعتباره قبلة لهم، فالله عز وجل قال: لآدم، ولم يقل: إلى آدم، وكل حرف له معنى ومن التمييز في اللسان أن يقال: سجدت له وسجدت إليه. كما قال تعالى: { لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ }[سورة فصلت: ٣٧]، وقال {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿١٥﴾} [سورة الرعد: ١٥]. أما عن قولهم أن السجود لغير الله محرم فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي لبيت المقدس ومن ثم صلى على الكعبة المشرفة، والسجود للشيء هو الخضوع له بالقلب والخشوع والاستحضار أما الساجد إليه فإنما هو تولية البدن والوجه إلى بعض النواحي مثل قوله تعالى { فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ } [سورة البقرة: ١٥٠]، ولو أن آدم لو كان قبلة فإن ذلك لن يمنع إبليس من السجود وزعمه أنه خير منه، فالقبلة قد تكون أحجارا وليس في ذلك تفضيل لها على المصلين ولا يمكن أن يُظَن أنها الأفضل. أما إن قيل أن السجود لغير الله لا يجوز ، فيُرد على ذلك بأن الجملة على بهذا الوجه فهي تفيد العموم، ومعنى ذلك عدم جواز السجود لآدم بل ونفيه، وقد دل الدليل الخاص على أنهم سجدوا له ومن أنكر ذلك فقد أنكر صريح القرآن. وإذا كان السجود محرما فهو محرم على البشر والملائكة وكيف يكون حراما وقد أمر الله به؟ كما أن يعقوب عليه السلام وإخوة يوسف خروا له سجدا؛ وقد قيل أنها كانت تحيتهم، فكيف يقال إن السجود حرام مطلقا؟ والتفسير لمفهوم السجود هو أن يقال: نعم، إن السجود الذي يأتي بمعنى الخضوع والعبادة القلبية ويكون اعترافا بالربوبية فهذا حق لله عز وجل ولايكون لغيره مطلقا. وأما كونه شريعة أمرنا بها الله كأن نسجد لأحد من خلقه لسجدنا لذلك الغير طاعة لله عز وجل، ولو لم يفرض علينا السجود لم يجب فعله. فسجود الملائكة لآدم عبادة لله وطاعة له وقربة يتقربون بها إليه، وهو لآدم تشريف وتكريم وتعظيم. وسجود إخوة يوسف له تحية وسلام، والله عز وجل لم يأمر آدم وذريته بالسجود إلا له عز وجل ولعل ذلك لأنهم أشرف الأنواع، وهم صالحو

[١] ينظر: مجموع الفتاوى، تقي الدين أحمد بن تيمية، ج٤/ ٣٥٧-٣٧٠.

بني آدم ليس فوقهم أحد يُحسن السجود له إلا رب العالمين، ولاعتبار البشر أكفاء بعضهم لبعض فليس هناك ميزة أو خصيصة تكون سببا يسوغ السجود له.

الدليل الثاني: ماورد صراحة في القرآن الكريم من تكريم آدم عليه السلام وذلك عندما رفض إبليس السجود له، قال تعالى {قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ } [سورة الإسراء: ٦٢].

الدليل الثالث: هو استخلاف الله لبني آدم في الأرض، قال تعالى {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً } [سورة البقرة: ٣٠] ، وهذا فيه تفضيل للخليفة من وجهين: الأول هو أن الملائكة كانت تسكن الأرض وجعل الإنسان خليفة فيها فهو مفضل على من هو خليفة عليه أي أنه مفضل على من سكن الأرض من الملائكة. والوجه الثاني هو أن الملائكة الكرام طلبت من الله عز وجل أن يكون الاستخلاف فيهم والخليفة منهم حيث قالوا { قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ } [سورة البقرة: ٣٠]، وهذا يدل على أن الخلافة درجة عالية أعلى من درجاتهم وإلا لما طلبوها وغبطوا صاحبها.

وقد كان السلف الصالح يحدثون الأحاديث المتضمنة فضل صالحي البشر على الملائكة وتروى على رؤوس الناس ولو كان هذا منكرا لأنكروه وإنما يدل على أن هذا مايصح اعتقاده عند أهل السنة[1].

أخيرا إن مسألة التفاضل بين الملائكة والبشر قد خالفت فيها بعض الفرق الإسلامية وبعضهم تكلم عن أوجه في التفاضل مختلفة، وفيما يلي بيان ذلك:

إن صور التفاضل التي قسمها العلماء ثلاث صور: (الصورة الأولى) التفضيل بين الأنبياء والملائكة، وفيها ثلاثة أقوال: الأول: وهو الصواب الذي عليه أهل السنة وهو أن الأنبياء أفضل، الثاني: الملائكة أفضل وهو قول المعتزلة، واختاره من الأشاعرة أبو إسحاق الإسفارييني[2] وأبو بكر الباقلاني[3]، أما الثالث: فهو الوقف عن القول بالتفضيل لأحدهما عن الآخر، ومحل الخلاف في هذا القول في غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهو أفضل الخلق بلا منازع ولا يشاركه في المكانة لا ملك مقرب ولا أحد من البشر. أما (الصورة الثانية) فهي التفاضل بين

---

[1] ذكر شيخ الإسلام في هذه المسألة مزيدا من الأدلة، للاستزادة: مجموع الفتاوى، ج٤/ ٣٦٩-٣٧٣.

[2] هو أبو إسحاق إبراهم بن محمد الإسفراييني الأصولي الشافعي والملقب بركن الدين، أحد مجتهدي عصره، وكان ثقة ثبتا في الحديث وله عدة مصنفات، توفي بنيسابور سنة ٤١٨هـ. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، التحقيق بإشراف: شعيب الأرنؤوط، ط٣(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ)، ج١٧/٣٥٣.

[3] هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني البصري، على مذهب أبي الحسن الأشعري، سكن بغداد وله تصانيف كثيرة في علم الكلام وغيره، توفي سنة ٤٠٣هـ. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان البرمكي، تحقيق: إحسان عباس، ط١(بيروت، دار صادر، ١٩٧١هـ)، ج٤/٢٦٩.

خواص الملائكة وأولياء البشر وهم من عدا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهذه الصورة نفى بعضهم الخلاف فيها وجزم بأن خواص الملائكة أفضل ومنهم السعد التفتازاني[١] الذي ذهب إلى أن خواص الملائكة أفضل من أولياء البشر بعد الرسل والأنبياء وهذا مردود؛ فالقول الراجح لأهل السنة والجماعة هو أن الأولياء أفضل من خواص الملائكة. (الصورة الثالثة) هو التفاضل بين أولياء البشر وغير الخواص من الملائكة، وفيها قولان: الأول: تفضيل جميع الملائكة على أولياء البشر وجزم بذلك ابن السبكي[٢]، والقول الثاني: تفضيل أولياء البشر على الملائكة وجزم به الصفّار[٣] من الحنفية وهو الراجح عندهم[٤].

استدل من قال بأن الملائكة عليهم السلام أفضل حتى من الرسل والأنبياء كالأشاعرة والمعتزلة بعدد من الأدلة، منها: قوله تعالى {لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ} [سورة النساء: ١٧٢]، فهذا يقتضي كون الملائكة أفضل من المسيح، ألا ترى أنه يقال: إن فلانا لا يستنكف الوزير من خدمته ولا السلطان، ولا يقال: إنه لا يستنكف السلطان من خدمته ولا الوزير؟ فلما ذُكر المسيح أولا والملائكة ثانيا علمنا أن الملائكة أفضل من المسيح. ومن الأدلة قوله تعالى { وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾} [سورة الأنبياء: ١٩]، وكان استدلالهم بهذه الآية من وجهين: أولهما: هو أن الله سبحانه وتعالى أظهر عدم استكبار الملائكة عن عبادته واحتج بعدم الاستكبار هذا على البشر في أنهم يجب أن لا يستكبروا عن عبادته سبحانه، فلو كان البشر أفضل من الملائكة فلا داعي لهذا الاستدلال؛ حيث أن السلطان إذا أراد أن يقرر على رعيته وجوب طاعتهم له فسيقول: الملوك لا يستكبرون عن طاعتي فمن هؤلاء المساكين؟ وبالجملة فإن الظاهر أن هذا الاستدلال لا يتم إلا بالأقوى على الأضعف. والوجه الثاني في استدلالهم بالآية هو: أن الله تعالى قال (ومن عنده) وهذه عِنْدِية الفضيلة والقربة[٥].

---

[١] هو سعد الدين مسعود بن عمرو التفتازاني، من بلاد خراسان، درس على يد قطب الدين الرازي وعضد الديني الإيجي، له تصانيف كثيرة، وكان يروّج لمذهب الأشاعرة في كتبه ويزعم أنهم أهل السنة، توفي سنة ٧٩٣هـ. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبدالحي بن أحمد العكري الحنبلي، تحقيق: محمود الأرنؤوط، ط١(بيروت، دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ)، ج٨/٥٤٧.

[٢] هو عبدالوهاب بن علي الإمام العالم الفقيه تاج الدين أبو نصر، ابن العلامة القاضي السبكي، ولد بالقاهرة وقرأ على الشيخ شمس الدين الذهبي كثيرا من المصنفات، توفي في دمشق سنة٧٧١هـ. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، د.ط(بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ)، ج١٩/٢٠٩.

[٣] هو أحمد بن عصمة أبوالقاسم الصفار، فقيه ومحدث، تفقه على يد أبو جعفر الهندواني وسمع منه الحديث، توفي سنة ٣٢٦هـ. الفوائد البهية في تراجم الحنفية، أبو الحسنات محمد عبدالحي اللكنوي، تحقيق وتصحيح: محمد بدر الدين النعساني، ط١(مصر، دار السعادة، ١٣٢٤هـ)، ص٢٦.

[٤] ينظر: لوامع الأنوار البهية، شمس الدين أبو العون السفاريني، ج٢/٤٠٠-٤٠١.

[٥] ينظر: لوامع الأنوار البهية، شمس الدين أبو العون السفاريني، ج٢/٤٠٦، ٤٠٧.

أما الاستدلال بالآية الأولى فالجواب عنه بعدة وجوه[1]:

أولا: أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم وكذلك إبراهيم الخليل عليه السلام أفضل من المسيح ابن مريم عليه السلام، فلا يلزم من كون الملائكة أفضل من المسيح كونهم أفضل من محمد ولا إبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

ثانيا: أن قوله سبحانه (ولا الملائكة المقربون) صيغة جمع فتناول الكل، فهذا يقتضي كون مجموع الملائكة أفضل من المسيح، ولا يعني ماهو مقصودهم من كون كل واحد من الملائكة أفضل منه.

ثالثا: حرف الواو في قوله تعالى (ولا الملائكة المقربون) هو حرف عطف، وهو يفيد الجمع المطلق وليس الترتيب.

رابعا: لو افترضنا أن الآية الكريمة تدل على أن المَلَك أفضل من المسيح وأعلى منه فذلك لا يدل على الأفضلية من جميع الوجوه؛ فالمَلَك أفضل من جهة القوة والقدرة والبطش فجبريل عليه السلام قلع مدائن قوم لوط والبشر لا قدرة لهم على ذلك، ومناسبة الآية هي أن النصارى عندما شاهدوا قدرة عيسى عليه السلام في إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص أخرجوه بسبب هذا القدر من القدرة عن عبودية الله تعالى فنظرتهم القاصرة جعلتهم يظنون أن القوة والقدرة الشديدة مناسبة للتمرد وترك العبودية، فكان رد الله تعالى عليهم هو أن عيسى لا يستنكف بسبب هذا القدر من القدرة عن عبوديتي ولا الملائكة المقربون الذين هم فوقه في القدرة والبطش والاستيلاء على عالم السماوات والأرض، وعليه فإن دلالة الآية تدل على أن المَلَك أفضل من البشر في الشدة والقوة ولا تدل على أنهم أفضل في كثرة الثواب. وما ذكروه من مثال فلا مجال للاحتجاج به، لأن الحكم الكلي لا يثبت بالمثال الجزئي، وكذلك هو من قبيل القول: ما أعانني على هذا الأمر لا عمرو ولا زيد، فهذا لا يفيد كون المتأخر في الذكر أفضل من المقدم. فمعلوم أن السلطان أعظم درجة من الوزير فإذا قيل هذا العالم لا يستنكف من خدمته الوزير ولا السلطان فيكون الغرض من ذكر الثاني هو المبالغة، فهذه المبالغة عُرفت بهذا الطريق لا بمجرد الترتيب في الذكر فلا يمكن أن نعرف أن المراد من قوله (ولا الملائكة المقربون) بيان المبالغة إلا إذا عرفنا قبل ذلك أن الملائكة المقربين أفضل من المسيح، وحينها يتوقف صحة الدليل على صحة المطلوب.

أما الاستدلال الثاني بقوله تعالى: { وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾} فالجواب فيه من وجهين[2]: أولهما: لعل المراد أن الملائكة مع شدة قوتهم لا

---

[1] ينظر: لوامع الأنوار البهية، ج٢/ ٤٠٦.

[2] ينظر: الحبائك في أخبار الملائك، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد زغلول، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ)، ص ٢١٢.

يتمردون عن طاعة الله تعالى، فما بال البشر يتمردون عن طاعة الله مع غاية ضعفهم؟ وهذا يوجب كون الملك أقوى من البشر، لكنه لا يوجب كونه أفضل من البشر، بمعنى كثرة الثواب، وثانيهما: أنه معارض بقوله تعالى في صفة البشر {فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾} [سورة القمر:٥٥].

وأخيرا، وبعد عرض أدلة المخالفين والرد عليهم يظهر الراجح في هذه المسألة وهو ماذهب إليه جمهور أهل السنة من أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وصالحي البشر لهم الأفضلية على الملائكة.

المسألة الثالثة: الاعتقاد الجازم بطاعة الملائكة الكرام لله عزوجل وأنهم معصومون ولا يتصور منهم الكفر والخطأ:

تقوم عقيدة عامة المسلمين من أهل السنة والجماعة بما يخص الملائكة أنهم مخلوقون عارفون وعاقلون بربهم، ولا يتصور منهم الكفر[١]، قال تعالى {* وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ} [سورة الأنبياء: ٢٩]، وقال تعالى { لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾} [سورة التحريم: ٦]. فإن الملائكة عليهم السلام عباد لله تعالى يملكون كل صفات العبودية، قائمون بوظائفهم التي خصهم الله بها، ومنفذون لتعاليمه، الله محيط بهم وعليم، لا يتجاوزون أوامره، ولايقدرون على مخالفة مايلقيه الله عليهم خائفون وجلون ومطيعون، ومن كمال عبوديتهم أنهم لا يقترحون بين يدي الله بشيء، ولا يعترضون على أمر من أوامره، بل هم عاملون بأمره، مسارعون مجيبون، قال تعالى {لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾} [سورة الأنبياء: ٢٧]، وهم لا يفعلون إلا ما يؤمرون به، فالأمر يحركهم، والأمر يوقفهم.[٢]

أما عن عصمة الملائكة وعدم تصور الكفر منهم والمعصية فهو الصواب عند عامة أهل السنة والجماعة.

ومما يخص عقيدتنا فيهم كونهم معصومين من المعصية. والمراد بالعصمة في اللغة: المنع، عصمة يعصمه عصما: منعه ووقاه. والعصمة هي أن يعصمك الله من الشر أي يدفع عنك[٣]. واصطلاحا: هو أن لا يتمكن المعصوم من الإتيان بالمعصية، وقيل هو أن يُختص في نفسه أو بدنه بخاصية تقتضي إقدامه عليها، وقيل أنها القدرة على الطاعة وعدم القدرة على المعصية، وقيل: إن الله منعهم منها بألطافه بهم فصرف دواعيهم عنها[٤].

---

[١] ينظر: الحبائك في أخبار الملائك، مرجع سابق، ج ٢٥٢/١.

[٢] ينظر: عالم الملائكة الأبرار، عمر سليمان الأشقر، ط٣(الكويت، مكتبة الفلاح، ١٤٠٣هـ)، ص٢٩.

[٣] ينظر: لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، ط٣(بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ)، ج٤٠٣/١٢.

[٤] ينظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، ط١(دار الكتاب العربي، ١٤١٩هـ)، ج١٠٠/١.

حصل اختلاف عند بعض الفرق الإسلامية وتفصيل ذلك مع عرض الأدلة والرد عليها فيما يلي:

أولا: ما يتعلق بالجبر على التوحيد والاختيار فيه:

إن توحيد الملائكة الكرام لله سبحانه وعبادتهم له اختيار عند عامة أهل السنة والجماعة: فإن الله تعالى خلقهم مختارين عاقلين بربهم، والدليل على ذلك قوله تعالى: {* وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ } [سورة الأنبياء: ٢٩]، وقال تعالى: { لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦} [سورة التحريم: ٦]، ولأن الجزاء في مقابلة الفعل، ولو لم يكونوا مختارين في التوحيد والطاعة لما قال تعالى مدحا لهم أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون[1].

ولقد ذهب جمهور الفلاسفة وكثير من الجبريين[2] إلى أن الملائكة خير محض، مجبورون على التوحيد والعبادة وليس لهم القدرة على الشر والفساد بتاتا. أما المعتزلة وكثير من الفقهاء فقالوا: بقدرتهم على الأمرين معا -الطاعة والمعصية والتوحيد والكفر- ولقد احتجوا على ذلك بأن الله تعالى مدحهم على ترك المعاصي والمخالفة ودوام الطاعة ولولا تصور خلاف ذلك منهم لما استحقوا عليه المدح. كما أن الممدوح على ترك شيء لابد وأن يقدر عليه لأن من لا يتصور منه الفعل لايحسن مدحه على تركه في العرف ولو فعل ذلك فاعل عُد فعله مستقبحا عرفا، كما أن مما احتجوا به هو أن الله تعالى توعدهم على تقدير صدور الذنب ومن لايتصور منه صدور الذنب لا يتوعد عليه، قال تعالى {* وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ } [سورة الأنبياء: ٢٩] [3].

ثانيا: ما يتعلق بالعصمة:

أجمع المسلمون على أن الملائكة مؤمنون فضلاء، فالملائكة المرسلون هم في حكم النبيين في العصمة وأنهم في حقوق الأنبياء والتبليغ إليهم كالأنبياء مع الأمم، واختلفوا في غير المرسلين منهم، والصواب عصمة جميعهم وتنزيههم عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم[4].

---

[1] ينظر: الحبائك في أخبار الملائك، ج١/٢٥٢.

[2] هم الذين أسندوا فعل المخلوق إلى الله تعالى، كالأشعرية وهم الجبرية المتوسطة الذي أثبتوا كسبا في الفعل للعبد، أو كالجهمية التي نفت تماما القدرة عنه فهو في القدر كالريشة في مهب الريح. وإذا أطلق لفظ الجبرية فالمقصود هم الجهمية أصحاب الجبر الكامل. ينظر: الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر الشهرستاني، د.ط(مؤسسة الحلبي، د.ت)، ج١/٨٥.

[3] ينظر: تحقيق الأولى من أهل الرفيق الأعلى، للقاضي العلامة/ كمال الدين محمد بن علي بن عبدالواحد الزملكاني، تحقيق ودراسة: عبدالعزيز بن عبدالله الجفير، إشراف الدكتور: عبدالعزيز المرشدي، (رسالة دكتوراة مطبوعة)، ١٤٢٣هـ، ج١/٥٥-٥٧.

[4] جاء هذا الإجماع عن أبي الفضل القاضي عياض بن موسى، في كتابه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى)، د.ط(دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ)، ج٢/١٧٥.

وهؤلاء الذين ذهبوا إلى عصمة جميعهم مرسلين وغير مرسلين، احتجوا بآيات من القرآن الكريم في ذلك، منها: قال تعالى {وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩} [سورة الأنبياء: ١٩]، وقال تعالى {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦} [سورة التحريم: ٦]، أما الطائفة الأخرى فقد ذهبت إلى أن هذا مخصوص بالمرسلين من الملائكة الكرام والمقربين؛ وحجتهم في ذلك عدة أدلة منها: قصة هاروت وماروت وتعليمهم الناس السحر، وقصة معصية إبليس لأمر الله تعالى وكفره، واستنكار الملائكة أن جعل الله في الأرض خليفة، وفيما يلي مناقشة لهذه الأدلة:

١-قصة هاروت وماروت وتعليم الناس السحر:

إن الآثار الواردة في قصة هاروت وماروت كلها ضعيفة ولايصح منها شيء والذي علينا اعتقاده والاعتناء به هو ماورد في القرآن الكريم عن قصتهم؛ لعدم وجود حديث ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن ماورد في الآثار إنما هي من الإسرائيليات التي يجب ردها وإبطالها لأنها تعارض أصلا من أصول العقيدة وهو عصمة الملائكة عليهم السلام [١]. وبالنسبة للتوجيه المناسب في القصة فلقد ذهب القاضي عياض[٢] إلى أنه اختلف العلماء في تحديد من هم هاروت وماروت؟ هل هما مَلَكان أو إنسيان؟ وهل هما المراد بالملكين أم لا؟ وهل القراءة مَلَكَيْن أو مِلكين؟ فأكثر المفسرين على أن الله تعالى امتحن الناس بالمَلَكين لتعليم السحر وتبيينه وأن عمله كفر، فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن، وتعليمهما الناس السحر تعليم إنذار أي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا؛ فإنه يفرق بين المرء وزوجه، وإنه سحر فلا تكفروا. وعلى هذا، ففعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما أُمرا به ليس بمعصية وهو لغيرهما فتنة [٣].

ولقد جاء في أوجه تفسير قصة الملكين أن تعلم السحر في (زمن) هاروت وماروت كان (جائزا)، وكانوا مأمورين بتعليم النّاس على جهة الابتلاء من الله تعالى لخلقه، فالطائع لا

---

[١] للاطلاع على بعض ماورد من هذه الآثار ينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ)، ج١/٢٣٢. أيضا: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ)، ج٢/٤٠٥.

[٢] هو القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، الإمام العلامة الأندلسي المالكي، ولد سنة أربع مائة وست وسبعين، اشتهر اسمه في الآفاق وكان إمام الحديث في وقته وأعرف الناس بعلومه، له مؤلفات جليلة ونفيسة وأشرفها كتاب (الشفا). ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ج٢٠/٢١٢.

[٣] ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ج٢/١٧٦.

يتعلمه، والعاصي (يبادر) إليه ويتعلمه كما خلق الله السّم القاتل والحديد وغير ذلك مع أنه لا يجوز تناوله. فقوله على هذا: (فلا) تكفر، إما أن يراد به العمل أي تعلمه ولا تعمل به فتكفر، أو يرادُ به نفس العلم أي نحن يجوز لنا تعليمه وغيرنا لا يجوز له أن يتعلمه منا فلا نتعلمه فنكفر، فهو مباح لهم تعليمه للغير، وذلك الغير لا يباح له أن يتعلمه منهم، وكان التعليم حينئذ جائزا ثم نسخ فصار حراما. وقيل: تعلمه على أنه حق كفر. ومنهم من قال: إن تعلمه جائز أو مطلوب ليفرق به بينه وبين المعجزة والكرامة، ولكن ذلك في تعلمه على الجملة لا تعلمه مفصلا[1].

وقد يتبادر للذهن سؤالٌ عن سبب إنزال الملكين والمقصد من ذلك، فهناك عدة مقاصد منها: أن السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطت أبوابا غريبة في السحر، وكانوا يدعون النبوة ويتحدون الناس بها، فبعث الله تعالى هذين الملكين لأجل أن يعلما الناس أبواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة أولئك الذين كانوا يدعون النبوة كذبا، ولا شك أن هذا من أحسن الأغراض والمقاصد، ومنها أيضا: أن العلم بكون المعجزة مخالفة للسحر متوقف على العلم بماهية المعجزة وبماهية السحر، والناس كانوا جاهلين بماهية السحر، فتعذرت عليهم معرفة حقيقة المعجزة، فبعث الله هذين الملكين لتعريف ماهية السحر لأجل هذا الغرض، ومن المقاصد أيضا: أن تحصيل العلم بكل شيء حسن ولما كان السحر منهيا عنه وجب أن يكون متصورا معلوما لأن الذي لا يكون متصورا امتنع النهي عنه، وأخيرا يجوز أن يكون ذلك تشديدا في التكليف من حيث إنه إذا علمه ما أمكنه أن يتوصل به إلى اللذات العاجلة ثم منعه من استعمالها كان ذلك في نهاية المشقة فيستوجب به الثواب الزائد[2].

وعلى هذه التوجيهات فإن إثبات العصمة للملائكة الكرام لغير المرسلين منهم أمر ثابت وأن الاستدلال بهذا الدليل ليس نافيا عنهم ذلك.

٢-معصية إبليس لأمر الله تعالى وكفره به:

ذهب البعض إلى أن الملائكة غير المرسلين لا يشملهم أمر العصمة وكانت حجتهم في ذلك ماجاء في قصة إبليس وفي امتناعه عن السجود لآدم عليه السلام مع الملائكة. فقالوا بأن معصيته دليل على عدم العصمة.

إن القول الظاهر في هذه المسألة هو أن إبليس من الجن وليس من الملائكة، ومن

---

[1] ينظر: تفسير الإمام ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، تحقيق: د/حسن المناعي، ط١(تونس، مركز البحوث بالكلية التونسية، ١٩٨٦م)، ج١/٣٨٧.

[2] ينظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي، ط٣(بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ج٣/٦٣١.

الأدلة على ذلك قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ} [سورة الكهف: ٥٠]، فسبب فسقه هو كونه من الجن وهذا الوصف فرّق بينه وبين الملائكة؛ لأنهم امتثلوا الأمر وعصا هو ولذلك فهو ليس من الملائكة وإنما كان يتعبد معهم؛ فأُطلق عليهم اسمهم لأنه تبع لهم كالحليف في القبيلة يطلق عليه اسمها، وقد استدلوا أيضا بأن الملائكة معصومون من الكفر الذي ارتكبه إبليس لذلك فهو ليس منهم، قال تعالى { لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦} [سورة التحريم: ٦] [1]. إذا أن يكون إبليس من الجن هو ما تطمئن النفس إليه؛ لتضافر الأدلة عليه، وقد قال إبليس عن نفسه كما جاء في الآية الكريمة {قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝٧٦} [سورة ص: ٧٦]، وجاء في الحديث عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» [2]، فهذا صريح في كونه من الجن [3].

واحتج من قال: إنه ملك في الأصل بقوله تعالى {فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣١} [سورة الحجر: ٣٠-٣١]، فقالوا: إخراجه بالاستثناء من لفظ الملائكة دليل على أنه منهم. وردوا على من استدل بقوله تعالى أنه (كان من الجن) أن الجن قبيلة من الملائكة، خلقوا من بين الملائكة من نار السموم، والعرب تعرف في لغتها إطلاق الجن على الملائكة [4].

والقول الراجح هو ماجاء عن شيخ الإسلام عندما قال عن إبليس لعنه الله "وجعله بعض الناس من الملائكة لدخوله في الأمر بالسجود، وبعضهم من الجن لأن له قبيلاً وذرية، ولكونه خلق من نار، والملائكة خلقوا من نور. والتحقيق: أنه كان منهم باعتبار صورته، وليس منهم باعتبار أصله، ولا باعتبار مثاله، ولم يخرج من السجود لآدم أحد من الملائكة: لا جبرائيل ولا ميكائيل ولا غيرهما" [5].

٣-الاستدلال بقوله تعالى {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ

---

[1] ينظر: الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان، جمعه: أبو المنذر محمود بن محمد المنياوي، ط١(مصر، مكتبة ابن عباس، ١٤٢٦هـ)، ج٢/٤٠٠-٤٠١.

[2] رواه مسلم، باب في أحاديث متفرقة، ج٤/ ٢٢٤٩.

[3] ينظر: جهود محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، عبدالعزيز الطويان، ط١(الرياض، مكتبة العبيكان،١٤١٩هـ)،ج١/٣٥٧.

[4] ينظر: الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان، جمعه: أبو المنذر محمود بن محمد المنياوي، ط١(مصر، مكتبة ابن عباس، ١٤٢٦هـ)، ج٢/٤٠٠-٤٠١.

[5] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٤/٣٤٦.

إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠} [سورة البقرة: ٣٠]:

استدل من قال بوقوع المعصية من الملائكة غير المرسلين بهذه الآية بعدة أوجه، أولها: بغيبتهم لآدم عليه السلام الذي جعله الله خليفة بذكر أنه سيفسد في الأرض ويسفك الدماء، وثاني الوجوه هو عجب الملائكة بنفسها وتزكيتها بذكر مناقبهم، وأخيرا استنكارهم على الله تعالى فيما يفعله وهو من أعظم المواقف.

والرد على ذلك بما يلي[1]:

١-(إن هذا غيبة لبني آدم) إن الغيبة قد تباح للمصلحة في مواضع منها نصيحة المسلم في عبد يُشترى أو زوجة يتزوجها فيتم إعلامه بما يقال فيه ليتجنبه، وكذلك من تلك المواضع الإعلام بحال من لايصلح لأمر من أمور المسلمين كولي الأمر الذي يريد أن يولي رجلا مكانا لايصلح له، وكالجرح والتعديل عند الحاجة للرواية والشهادة، وأيضا في الفتوى والتعلم حيث يجوز للمتعلم والمستفتي أن يوضح الحال فيما أريد السؤال عنه ومثال ذلك (حديث هند امرأة أبي سفيان)[2] وقصة الملائكة الكرام من هذه الأمور؛ لأن قصدهم إنما معرفة الحكم وإزالة الإشكال والتعلم فكان من الغيبة الجائزة.

٢-الاحتجاج بتزكية الملائكة لنفسها وذكر مناقبهم: فإنه لا يُسلّم أن ذلك من باب المدح للنفس والتزكية وإنما هو التحدث بنعم الله تعالى وشكره أن جعلهم من المسبحين الطائعين لله عز وجل، ومن ثم هو اعتذار عن السؤال المقصود منه معرفة الحكمة وليس الاعتراض على الله في أمره سبحانه وتعالى.

٣-أما اعتراضهم واستنكارهم بقول الملائكة الكرام (أتجعل فيها من يفسد فيها): فقد أجاب أهل السنة أن الاستفهام هنا تقرير وإيجاب وليس المراد الاستنكار، وأن هذا ليس على سبيل الاعتراض وإنما هو على سبيل التعظيم لأمر الله تعالى ومعناه أنهم قالوا ذلك ليظهروا عظمة حكمته في استخلاف من صفته الفساد وسفك الدماء؛ فكأنهم يقولون ما أعظم حكمتك سبحانك فأنت أعلم بموضع المصلحة في هذا الاستخلاف، ولذلك كان رد الله سبحانه عليهم (إني أعلم مالا تعلمون) تقريرا لهم على اعتقادهم بعظمة ما خُفي من حكمته عز وجل.

ولقد ذكر شيخ الإسلام في الرد على هذا الاحتجاج: بأن الملائكة لم تُرِد بهذا القول غيبة

---

[1] ينظر: تحقيق الأولى من أهل الرفيق الأعلى، للقاضي العلامة/ كمال الدين محمد بن علي بن عبدالواحد الزملكاني، تحقيق ودراسة: عبدالعزيز بن عبدالله الجفير، إشراف الدكتور: عبدالعزيز المرشدي، (رسالة دكتوراة مطبوعة)، ١٤٢٣هـ، ج١/٤٧-٤٩.

[2] أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن هند بنت عتبة قالت: يارسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي، إلا ما أخذت منه وهو لايعلم، فقال: "خذي مايكفيك وولدك بالمعروف". باب (إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه مايكفيها وولدها بالمعروف) ج٧/٦٥ (٥٣٦٤).

آدم ولا تزكية أنفسهم ولا الظن السيء كما قد يتوهم، فلقد علموا ما يمكن أن يقوم به بنو آدم من الفساد وسفك الدماء، فكيف لا يعلمه الله؟ سواء علموه بإعلام الله لهم، فيكون هو أعلم بما علمهم إياه كما قاله أكثر المفسرين، أو قالوه بالقياس على من كان قبلهم كما قاله طائفة منهم، أو بغير ذلك، والله أعلم بما سيكون من مخلوقاته الذين لا علم لهم إلا ما علمهم، وما أوحاه إلى أنبيائه وغيرهم مما سيكون هو أعلم به منهم، فإنهم لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء[١].

وبذلك تثبت عصمة الملائكة عليهم السلام الغير مرسلين وتسقط اعتراضات من استدل بهذه الأدلة على إثبات غير ذلك.

المسألة الرابعة: إثبات صفة الكلام لله تعالى:

إن مسألة الكلام لله عز وجل من أعظم المسائل المتعلقة بتوحيد الأسماء والصفات، والتي حصل فيها اختلاف كبير بين الفرق الإسلامية، وسأقوم بحول الله وقوته عرض مذهب أهل السنة والجماعة فيما يخص منهجهم في توحيد الأسماء والصفات ومن ثم اعتقادهم في صفة كلام عز وجل وأدلتهم في ذلك، وسيتم لاحقا عرض الفرق التي خالفتهم فيما يتعلق بهذه المسألة .

إن أهل السنة والجماعة يعرفون صفات الله عز وجل من الوحي المنطوق أو بما شهد به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم مما صح عنه من أخبار ويثبتون كل ذلك من غير تحريف ولاتعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

إن المقصود بالتحريف في أسماء الله وصفاته هو تحريف الألفاظ والمعاني إما بزيادة أو نقصان، ولقد جال المخالفون في هذا الباب كثيرا وأبعدوا أسماء الله وصفاته عن المعاني الحقيقية الصحيحة. أما عن التكييف فهو ذكر الصفة والكيفية والهيئة لهذه الأسماء والصفات والعياذ بالله؛ فهذه أمور غيبية لا يعلم كيفيتها إلا الله سبحانه. أما عن التشبيه فيقصد به مماثلة الله -تعالى عن ذلك علوا كبيرا- عز وجل بمخلوقاته في كيفية هذه الصفات في حق الله كما هي في حق المخلوقات والعياذ بالله[٢].

ومن أهم القواعد المتعلقة في إثبات أسماء الله وصفاته أنها توقيفية أي على ماجاء في الكتاب والسنة، وأنها قديمة قدم الذات المقدسة لا محدثة ولا مخلوقة، وأن كل اسم لله تعالى

---

[١] ينظر: كتاب الإيمان، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد ناصرالدين الألباني، ط٥(عمان، المكتب الإسلامي، ١٤١٦هـ)، ص٣٠٠.

[٢] ينظر: عقيدة السلف وأصحاب الحديث أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة، أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني، تحقيق: ناصر عبدالرحمن الجديع، ط٢(دار العاصمة، ١٤١٩هـ)، ص١٦٢.

يتضمن إثبات صفة له عز وجل فالله سميع ويضمن إثبات صفة السمع، وأن صفاته سبحانه يوصف بها ولايسمى بها فالله عز وجل يوصف بالمجيء ولا يسمى بالجائي. كما أن الأسماء والصفات التي تطلق على الله تعالى وعلى عباده ثابتة لله عز وجل على الحقيقة لكل منهما بالقدر المناسب والذي يليق به ولا يشاركه غيره فيه، وهذه الصفات إذا كانت ثابتة للمخلوق فالخالق أحق بذلك الكمال وأولى به سبحانه وتعالى [1].

هذه بعض ما اعتمد عليه أهل السنة والجماعة في تقرير أسماء الله وصفاته، وعليه فلقد أثبتوا له مايليق بجلاله وعظمته سبحانه من غير أن يطرقوا باب التمثيل والتشبيه فيها أو يقعوا في التعطيل لها.

أولا: بيان حقيقة الكلام ومايتعلق بالمتكلم:

أصل الكلام من (كَلَمَ) الكاف والام والميم أصلان: يدل على نُطْقٍ مُفْهِمٍ، " تقول: كَلَّمْتُهُ أُكَلِّمُهُ تَكْلِيمًا; وهو كليمي إذا كلمك أو كلمته. ثم يتسعون فيسمون اللفظة الواحدة المفهمة كلمة، والقصة كلمة، والقصيدة بطولها كلمة. ويجمعون الكلمة كلمات وَكَلِمًا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ}"[2].

وبناء على تعريف (الكلام) فإن كلمة (نطق) تدل على أنه لفظ باللسان، و (مفهم) يعني كونه معنى؛ إذا الكلام هو لفظ ومعنى فلا يعقل أن تكون صفة الكلام لفظا بلا معنى أو معنى بلا لفظ، ولقد ذكر شيخ الإسلام ذلك فقال: " كلام المتكلم هو عبارة عن ألفاظه ومعانيه كما قدمناه ليس الكلام اسما لمجرد الألفاظ ولا لمجرد المعاني. وعامة ما يوجد في الكتاب والسنة وكلام السلف والأئمة؛ بل وسائر الأمم عربهم وعجمهم من لفظا الكلام والقول وهذا كلام فلان أو كلام فلان؛ فإنه عند إطلاقه يتناول اللفظ والمعنى جميعا لشموله لهما؛ ليس حقيقة في اللفظ فقط كما يقوله قوم؛ ولا في المعنى فقط كما يقوله قوم"[3].

يقوم اعتقاد السلف الصالح على إثبات صفة الكلام لله جل وعلا على الحقيقة بحرف وصوت وذلك بما يليق بجلال الله وعظمته، وأنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وأنه صفة له قائمة بذاته. وكلام الله تعالى بصوت يُسمع، وأنه قديم ومن أحسن الكلام وأنه يتبعض ويتجزأ ويتفاضل، فالقرآن كلامه والتوراة من كلامه والإنجيل من كلامه،

---

[1] ينظر: جهود الإمام ابن القيم الجوزية في تقرير الأسماء والصفات، وليد بن محمد العلي، ط١(دار ابن الجوزي، المام، ١٤٢٣هـ)، ج٢/٢٢٧، ٨٣٥، ٨٤٣، ٨٥٥، ٨٧٣.

[2] معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني الرازي، تحقيق: عبدالسلام هارون، د.ط (دار الفكر، ١٣٩٩هـ)، ج٥/١٣١.

[3] مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن القاسم، د.ط(المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ)، ج١٢/٤٥٦-٤٥٧.

والقرآن غير التوراة وكلاهما غير الإنجيل، وأن كلام الله غير مخلوق، ولا يشبه كلام أحد فليس كمثله شيء وهو السميع البصير [١].

ومن أدلة إثبات صفة الكلام لله تعالى، قوله عز وجل { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾} [سورة النساء: ٨٧] ، وقوله تعالى { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾} [سورة النساء: ١٢٢]، جاءت الآيتين بالنفي في صيغة الاستفهام وهو أبلغ من إتيان النفي مجردا؛ لأنه يكون بغرض التحدي، والمراد: لا أحد أصدق من الله حديثا وقولا، فإن أنكرت فمن الأصدق من الله؟ وأما عن موضع الشاهد في إثبات صفة الكلام فهو في كلمة (أصدق) لأن الصدق صفة يوصف بها الكلام، وكلمة (حديثا) لأن الحديث هو الكلام، وكلمة (قيلا) وذلك لأن القول لا يكون إلا باللفظ [٢].

ومن الأدلة أيضا قوله تعالى: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ } [سورة الأنعام: ١١٥]، وقوله تعالى { وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾} [سورة النساء: ١٦٤]، وقوله تعالى {وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ } [سورة الأعراف: ١٤٣]، وقوله تعالى {وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ} [سورة المائدة: ١١٦]، هذه الآيات في ما يتعلق بلفظ الكلام والقول، وهناك أيضا النداء أحد صيغ الكلام، قال تعالى {وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾} [سورة مريم: ٥٢]، وقوله { ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾} [سورة الأعراف:٢٢]، والنداء لا يكون إلا بالقول المسموع الذي يستند على الحرف والصوت، ومواضع النداء في كتاب الله جل وعلا، هي من أصرح الأدلة على أن الله جل وعلا يتكلم كلاما بحرف وصوت، كلاما حقيقيا. ومن الأدلة قوله عز وجل: {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ } [سورة التوبة: ٦]، والإضافة تمنع أن يكون الكلام لغيره جل وعلا وقد أضافه إليه؛ والمعنى إذا أضيف يتعين أن يكون صفة، بخلاف العين القائمة بنفسها فإنها تكون من إضافة المخلوق إلى خالقه كقوله: رسول الله، نبي الله، عبد الله، بيت الله، ناقة الله، فهذه وإن كان يقصد بها التشريف والتكريم والاختصاص ولكن هي من إضافة المخلوق إلى خالقه، بخلاف كلام الله سمع الله بصر الله وما

---

[١] ينظر: المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع جمعا ودراسة، خالد الجعيد وعلي العلياني وناصر الجهني، ط١(الرياض، دار الفضيلة، ١٤٢٨هـ)، ص٤٥٥.

[٢] ينظر: شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به: سعد الصميل، ط٦(الرياض، دار ابن الجوزي، ١٤٢١هـ)، ج١/٤١٩.

أشبه ذلك، فإن هذا يتعين أن يكون من إضافة الصفة إلى الموصوف[1].

إن الحديث عن صفة الكلام لله عز وجل يتعلق به الحديث عن مسألة عظيمة جرّت على المسلمين في فترة من الفترات ويلات ومحنة كبيرة، ألا وهي مسألة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وذلك في القرن الثالث الهجري عندما انتشر الفكر المعتزلي في عهد الدولة العباسية.

والذي عليه أهل السنة والجماعة: أن القرآن سوره وآياته وكلماته هو كلام الله حقيقة حرفه ومعناه، ولم ينزل على أحد قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، سمعه جبريل عليه السلام منه عز وجل وأسمعه جبريل محمد صلى الله عليه وسلم، وأسمعه نبينا عليه السلام أمته، وليس لجبريل عليه السلام ولا لمحمد عليه الصلاة والسلام إلا التبليغ والأداة، وهو مكتوب في اللوح المحفوظ، المكتوب في المصاحف، فالكلام كلام الله تكلم به حقيقة والصوت صوت القارئ، وهو متفاضل بعضه أفضل من بعض ليس من جهة المتكلم فهو كلام الله سبحانه بل من جهة مايتضمنه من المعاني العظيمة؛ فالكلام في التوحيد والدعوة إليه أفضل من الحدود والقصاص، وحديث الله عن نفسه وصفاته أعظم مما يخبر به عن بعض خلقه وذلك لشرف الأول على الثاني وفي ذلك أمثلة كثيرة، إذا القرآن كلام الله ووحيه ليس بخالق ولا مخلوق وهو تنزيل الله وصفته، قال تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩} [سورة الحجر: ٩]، وقال تعالى {كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩} [سورة ص:٢٩]، وقال تعالى {نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣} [سورة الشعراء:١٩٣]، وقال تعالى {ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ } [سورة الرحمن: ١-٣]، والله عز وجل في هذه الآيات لم يجمع القرآن مع الإنسان في الخلق بل أوقع الخلق على الإنسان والتعليم على القرآن؛ وهذا دليلٌ على أن القرآن كلام الله ووحيه، وتنزيله وصفته، ليس بخالق، ولا مخلوق، ولا محدث ولا حادث، مكتوب في المصاحف [2].

لقد خالفت الفرق الإسلامية أهل السنة والجماعة في صفات الله عز وجل معتمدين على قواعد خاطئة كانت هي السبب الأساسي في ذلك، كقياس الخالق سبحانه وتعالى بالقوانين والمقاييس التي تحكم المخلوق، فكان ذلك سببا في الوقوع في التشبيه والتعطيل لصفاته عز وجل. ومن قواعدهم الخاطئة هو التأويل، حيث أنهم قاموا بتأويل صفات الله تعالى الثابتة له على الحقيقة ظنا منهم أنهم بذلك يخرجون من تمثيله بالمخلوقين .

---

[1] ينظر: شرح العقيدة الواسطية، عبدالله بن محمد الغنيمان، دروس صوتية (المكتبة الشاملة) الدرس٦ / ٢.

[2] ينظر: شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود الغوي الشافعي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد الشاويش، ط٢(دمشق، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣)، ج١/١٨١. أيضا: المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع جمعا ودراسة، ص٤٧٥– ٤٧٦.

ذهبت المعتزلة إلى أن كلام الله مخلوق محدث، وهو شيء منفصل عن الله تعالى، أنزله الله على نبيه ليكون علما ودالا على نبوته، وإذا هو الذي نسمعه اليوم ونتلوه وإن لم يكن محدثا من جهة الله تعالى فهو مضاف إليه على الحقيقة، وأنكروا الكلام القائم بالنفس[١]. ولقد ذهبت الأشاعرة إلى أن الكلام هو صفة أزلية منافية للسكوت لا يتعلق بمشيئته وقدرته، وليست من جنس الأصوات والحروف بل هو كلام نفسي فإذا عُبّر عنه بالعربية فقرآن وبالسريانية فإنجيل وبالعبرانية فتوراة. فالقرآن ليس كلام الله حقيقة، بل هو عبارة أو حكاية عن معنى أراده الله تعالى في نفسه من أمر ونهي وخبر، وشاع اطلاق اسم الكلام عليه. والكلام عند هؤلاء على التحقيق بمعنيين: كلام بمعنى الكلام النفسي، وهو غير مخلوق، وكلام بمعنى الكلام اللفظي وهو القرآن العربي وهو مخلوق[٢].

ولقد استدل المعتزلة على مذهبهم بأدلة، منها:

- قوله تعالى { قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ } [سورة الرعد: ١٦]، وجه استدلالهم أن الآية نصت على أن الله خالق كل شيء والقرآن شيء فيكون داخلا في عموم كل فيكون مخلوقا. ولقد رد شيخ الإسلام عليهم وأبطل استدلالهم وبيّن "أن القرآن الكريم هو كلام الله وكلامه من صفاته، وصفاته داخلة في مسمى اسمه كعلمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره ووجهه، وحينئذ فطرد باطلهم أن تكون جميع صفاته تعالى مخلوقة كالعلم والقدرة والحياة وسائر الصفات، وذلك صريح الكفر فإن علمه شيء وقدرته شيء وحياته شيء فيدخل ذلك في عموم (كل) فيكون مخلوقا، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، ولو صح أن يوصف أحد بصفة قامت بغيره لصح أن يقال للبصير أعمى وللأعمى بصير لأن البصير قد قام وصف العمى بغيره. والأعمى قد قام وصف البصر بغيره، إذا عرف هذا فعموم (كل) في كل موضع بحسبه، ويعرف ذلك بالقرائن ألا ترى إلى قوله تعالى {تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ} [سورة الأحقاف:٢٥].

فمساكنهم شيء، ولم تدخل في عموم كل شيء دمرته الريح، وذلك لأن المراد في الآية كل شيء يقبل التدمير بالريح عادة واستحق التدمير، وكذا قوله تعالى حكاية عن بلقيس: {إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣} [سورة النمل:٢٣]. فإن المراد من كل شيء يحتاج إليه الملوك، وهذا القيد يفهم في قرائن الكلام، إذ

---

[١] ينظر: شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار بن أحمد، تعليق: الإمام أحمد بن أبي هاشم، تحقيق: عبدالكريم عثمان، د.ط(القاهرة، مكتبة وهبية، د.ت)، ص٥٢٨

[٢] ينظر: شرح المقاصد، للإمام مسعود بن عمر الشهير بسعد الدين التفتازاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط٢(بيروت، عالم الكتب، ١٤١٩هـ)، ج٤/ ١٤٧-١٤٩.

مراد الهدهد أنها ملكة كاملة في أمر الملك غير محتاجة إلى ما يكمل به أمر ملكها، ونظائر هذا كثيرة، فالمراد من قوله تعالى: {ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ } [سورة الزمر:٦٢]. أي كل شيء مخلوق، وكل موجود سوى الله فهو مخلوق ولم يدخل في العموم (الخالق تعالى) وهو سبحانه موصوف بأوصاف الكمال، وصفاته ملازمة لذاته المقدسة"[1].

-ومن أدلتهم {إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا } [سورة الزخرف: ٣]، وجه استدلالهم أن جعل بمعنى خلق، فيكون المعنى أن الله خلق القرآن فدل على القرآن مخلوق. والرد على استدلالهم يظهر عند بيان معنى (جعل) ولقد جاءت في القرآن متعلقة بحق المخلوق وبحق الخالق عز وجل، فأما بحق المخلوق فهي على وجهين، أولهما: على معنى التسمية، كقوله تعالى {ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ٩١} [سورة الحجر:٩١]. قالوا: هو شعر وأنباء الأولين وأضغاث أحلام، فهذا على معنى تسميته وقوله {وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًا } [سورة الزخرف:١٩]. [يعني: أنهم سموهم إناثًا]. وثانيهما: على معنى فعل من أفعالهم، فقال: { يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ } [سورة البقرة:١٩]. فهذا على معنى فعل من أفعالهم، وقال تعالى: { حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا } [سورة الكهف:٩٦]. هذا على معنى فعل. أما (جعل) إذا كانت من الله تعالى فهي على معنى (خلق) وعلى غير معنى الخلق، والذي قال الله جل جلاله (جعل) على معنى (خلق) لا يكون إلّا خلقًا ولا يقوم إلا مقام خلق لا يزول عنه المعنى، فممّا قال الله (جعل) على معنى (خلق)، قوله تعالى: {ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ } [سورة الأنعام:١]. [يعني: خلق الظلمات والنور]، وقال تعالى: {وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِ} [سورة الإسراء:١٢]. يقول: خلقنا الليل والنهار آيتين، ومثله في القرآن كثير، فهذا وما كان أمثاله لا يكون إلّا على معنى خلق. وقوله تعالى: {مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ } [سورة المائدة:١٠٣]. لا يعني ما خلق الله من بحيرة، وقال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام : {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗا } [سورة البقرة:١٢٤]. لا يعني إني خالقك للناس إماما، لأن خلق إبراهيم كان متقدما، وقوله تعالى: {وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا } [سورة إبراهيم:٣٥]. وقال تعالى: {رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠} [سورة إبراهيم:٤٠]. لا يعني أخلقني مقيم الصلاة. فهذا وما كان على مثاله لا يكون على معنى خلق، فإذا قال تعالى (جعل) على معنى (خلق)، وقال (جعل) على معنى غير (خلق) فبأي حجة قال الجهمي: (جعل) على معنى الخلق؟ فإن رد الجعل في هذا الموضع لمعنى الخلق إنما هو تحريف لكلام الله تعالى؛ فلما قال الله عزَّ وجلَّ: {إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ

[1] التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، فالح بن مهدي آل مهدي، ط٣(المدينة المنورة، مطبعة الجامعة الإسلامية، ١٤١٣هـ)، ج٢/٧٥-٧٦.

قُرْءَانًا عَرَبِيًّا } [سورة الزخرف:٣]. يقول: جعله جعلًا على معنى فعل من أفعال الله غير معنى خلق، وقال تعالى: {إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢} وقال تعالى: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥} [سورة الشعراء:١٩٥]. وقال {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨} [سورة الدخان:٥٨]. فلما جعل الله القرآن عربيًّا ويسره بلسان نبيه، كان ذلك فعلًا من أفعال الله جعل به القرآن عربيًّا، وهذا هو البيان والرد على الاستدلال[١].

ولقد استدل الأشاعرة على مذهبهم بقوله تعالى { وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ } [سورة المجادلة:٨]، ووجه استدلالاهم هو أن الآية ذكرت أن ما يستتر به في النفوس قول، فدل على إثبات الكلام النفسي وأنه قول. وفي حقيقة الأمر الاستدلال بالآية هو رد عليهم وليس لهم لأن الله لما أراد حديث النفس قال: { وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ} ولما أراد حديث اللسان قال: (بِمَا نَقُول) فأطلق، وذلك في قوله تعالى: {لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ } ولم يقل سبحانه: بما نقول في أنفسنا؛ لأنهم يقولون بألسنتهم، لكن يحدثون أنفسهم ويقولون: لولا يعذبنا الله بما نقول. فحديث النفس لا يسمى قولا ولا كلاما ولا حديثا إلا مقيدا، وأما القول والحديث والكلام عند الإطلاق فإنما هو القول المسموع الذي يكون بالحروف. ثم إنه يقال لهم: أي فرق بين العلم والكلام على ما زعمتم، لأن حقيقة الأمر أنه إذا كان الكلام هو ما قدره الله في نفسه صار معناه العلم، فلا فرق بن العلم والكلام على ما زعمتموه[٢].

المسألة الخامسة: **الاعتقاد بأن للسماء أبوابا تُفتح وتغلق حقيقة لا مجازا:**

إن المسلم المتتبع للنصوص الشرعية سيظهر له واضحا وجليا مسألة أن السماوات طباقا وأدوار وأن لكل منها باب وهذا لا خلاف فيه، وأن هذه الأبواب تُفتح إذا أتى الإنسان بأسبابها وإلا فإن الأصل فيها الغلق، وفيما يلي عرضا لهذه النصوص.

أولا: النصوص الدالة على أن السماوات طباقا بعضها فوق بعض:

يقول الله تعالى {أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥} [سورة نوح: ١٥]، وقد دلت الآية على أن الله خلق السماوات السبع بعضها فوق بعض متطابقة[٣]، وقال تعالى { ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٢٩} [سورة البقرة: ٢٩]، أي: أنه تعالى علا عليهن وارتفع، فدبرهنّ بقدرته، وخلقهنّ سبع

---

[١] ينظر: التسعينية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد بن إبراهيم العجلان، ط١(الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٢٠هـ)، ج١/٣٠١-٣٠٣.

[٢] ينظر: شرح العقيدة السفارينية" الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، محمد بن صالح العثيمين، ط١(الرياض، دار الوطن للنشر، ١٤٢٦هـ)، ص١٨٠-١٨١.

[٣] ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، ط١(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ)، ج٢٣/٦٣٦.

سموات تامات منتظمات الخلق[1]، هذه نصوص دالة دلالة مباشرة إلى أن السموات طباقا.

ثانيا: النصوص الدالة على أن للسماء أبوابا تفتح حقيقة:

الأدلة الشرعية الواردة في أن أبواب السماء تُفتح كثيرة ومن أشهرها هو حديث الإسراء والمعراج، فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أُتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد، فصليت فيه ركعتين ثم خرجت ... ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال : محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففُتح لنا، فإذا أنا بآدم فرحب بي ... ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد: قيل: وقد بعث إليه؟ ... ثم عرج إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل، قيل: ومن معك قال : محمد، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففُتِح لنا ، فإذا أنا بإبراهيم مُسنِدًا ظهرَه إلى البيت المعمور ..." [2].

وجه الدلالة: أنه ذُكر في الحديث أبواب السماء واستفتاحها وسؤال ملائكتها لجبريل عليه السلام، وهذا دليل على أن للسماء أبوابا حقيقية مغلقة، وحفظةً موكَّلين بها، وأن ماينزل من الوحي وعلم الغيب بها لا يعلمه إلا من أعلمهُ الله به، لاستفهام الملائكة جبريل عن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وقد كان بُعِث منذ مدةٍ، وقيل: بل معنى قوله: " أوَ قَدْ أُرْسِل إليه؟ ": أي للعروج إلى السماء. إذا كان إرساله بالنبوة قبل مُستفيضا من قبل، فجاء أنهم قد علموا بعضا من أخبار نبوته دون بعض، علموا بنبوته وأنه سيُرسَل ولم يعلموا وقت إرساله، أو علموا جميع ذلك ولم يعلموا بالإسراء[3].

إ الأحاديث المتعلقة بإثبات ذلك، عن عبدالله بن السائب رضي الله عنه[4] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي أربعا بعد أن تزول الشمس قبل الظهر، وقال:" إنها ساعة تُفتح فيها أبواب السماء وأُحب أن يصعد لي فيها عمل صالح"[5]. وكذلك عن صفوان بن عسال رضي

---

[1] ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، ج١/٤٣٠.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، باب (الإسراء بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى السماوات)، ج١/١٤٥، (١٦٢).

[3] ينظر: شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى إكمال المعلِم بفوائد مسلم، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض، تحقيق الدكتور: يحيى إسماعيل، ط١(مصر، دار الوفاء للطباعة، ١٤١٩هـ)، ج١/٥٠١ –٥٠٢.

[4] هو عبدالله بن السائب بن صيفي بن عائذ المخزومي، من قراء القرآن وأخذ عنه مجاهد، سكن مكة وكان قارئ فيها، ومات في إمارة ابن الزبير عليها وصلى عليه ابن عباس. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي معوض، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ج٤/٨٩.

[5] أخرجه الترمذي، باب(ما جاء في الصلاة عند الزوال)، ج٢/٣٤٢ (٤٧٨)، صححه الألباني. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة، تحقيق: أحمد شاكر و محمد فؤاد عبدالباقي، ط٢(مصر، مطبعة مصطفى البابي، ١٣٩٥هـ).

الله عنه[١] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن من قِبل مغرب الشمس بابا مفتوحا عرضه سبعون سنة، فلا يزال ذلك الباب مفتوحا للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه، فإذا طلعت من نحوه لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا" [٢].

وجه الدلالة: أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام في الأحاديث أن السماء ذات أبواب وأن الأصل فيها الغلق بدلالة أنه ذكر أنها تُفتح في أوقات محددة، وكذلك بيّن عليه السلام أن هناك بابا يظل مفتوحا للتوبة دائما إلى أن تطلع الشمس من مغربها وذكر وصف ذلك الباب وهذا دليل على أنه بابٌ حقيقي يفتح ويغلق وليس مجازا، وهذه هو المذهب الصحيح الذي عليه أهل السنة والجماعة؛ حيث أن نصوص الغيبيات خاصة ونصوص الشريعة عامة يتم الاعتماد فيها على ظواهرها في الاستدلال وعدم العدول عنها أو حملها على المجاز لمجرد الاحتمال[٣]، وقد قال الشافعي رحمه الله في ذلك:" القرآن عربي والأحاديث بكلام عربي ... والأحكام فيه على ظاهرها وعمومها، ليس لأحد أن يحيل منها ظاهرا على باطن ولا عاما إلى خاص إلا بدلالة من كتاب الله، فإن لم تكن فسنة رسول الله تدل على أنه خاص دون عام او باطن دون ظاهر أو إجماع من عامة العلماء الذين لا يجهلون كلهم كتابا ولا سنة. وهكذا السنة، ولو جاز في الحديث أن يحال الشيء منه عن ظاهره إلى معنى باطن يحتمله كان أكثر الحديث يحتمل عددا من المعاني ولا يكون لأحد ذهب إلى معنى منها حجة على أحد ذهب إلى معنى غيره، ولكن الحق فيها واحد؛ لأنها على ظاهرها وعمومها إلا بدلالة رسول الله" [٤].

إذا إن مسألة فتح أبواب السماء وغلقها وغيرها مما يتعلق بالآيات الكونية كانشقاق القمر وسجود الشمس عند عرش الرحمن كما هو في تفسير قوله تعالى {وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾} [سورة يس: ٣٨]، وكذلك فتح أبواب الجنة والنار وغلقها، جميع تلك الأمور عند أهل السنة والجماعة تُحمل على ظاهرها وأنها على الحقيقة وليس مجازا وهذا مبنيا على ما سار عليه نهج العلماء الأفاضل من السلف الصالح.

يقول ابن القيم رحمه الله:" فالواجب حمل كلام اللَّه تعالى ورسوله, وحمل كلام

---

[١] هو صفون بن عسال بن الربض المرادي، سكن الكوفة وغزا مع النبي عليه الصلاة والسلام اثنتي عشرة غزوة، روى عنه عبدالله بن مسعود وآخرون. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزري عز الدين ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض وعادل عبد الموجود، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ج٢٨/٣.

[٢] أخرجه ابن ماجه في سننه وقال عنه الألباني: حديث حسن، باب (طلوع الشمس من مغربها)، ج١٣٥٣/٢ (٤٠٧٠).

[٣] ينظر: إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، حمود بن عبدالله التويجري، ط٢(الرياض، دار الصميعي للنشر، ١٤١٤هـ)، ج٢٠٢/٣-٢٠٣.

[٤] اختلاف الحديث (مطبوع ملحق بالأم للشافعي)، أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس القرشي، د.ط(بيروت، دار المعرفة، ١٤١٠هـ)، ج٥٩٢/٨.

المكلَّف على ظاهره الذي هو ظاهره، وهو الذي يُقْصَدُ من اللفظ عند التخاطب، ولا يتم التفهيم والفهم إلا بذلك. ومُدَّعِي غير ذلك على المتكلم القاصد للبيان والتفهيم كاذبٌ عليه"[1].

ثالثا: الأوقات التي تفتح فيها أبواب السماء:

لقد وردت كثير من الأحاديث النبوية التي تحدث فيها الرسول صلى الله عليه وسلم عن الأوقات التي تفتح فيها أبواب السماء وكذلك تكون الإجابة فيها للدعاء أحرى من غيرها وحث المسلمين على اغتنامها، ومنها:

١- حال النداء للصلاة، وبين الأذان والإقامة: عن يزيد[2]، عن أنس -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم قال: "إذا نودي بالصلاة فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء" قال يزيد: وكان يقال: الدعاء بين الأذان والإقامة لايرد.[3].

٢- وقت زوال الشمس: عن عبدالله بن السائب -رضي الله عنه-[4] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي أربعا بعد أن تزول الشمس قبل الظهر، وقال: "إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء، وأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح"[5].

٣- في الثلث الأخير من الليل: عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "إذا كان ثلثُ الليلِ الباقي يَهْبِط الله عز وجل إلى السماء الدنيا، ثم تُفتح أبواب السماء، ثم يبسط يدَه فيقول: هل من سائل يُعْطىَ سُؤله، فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر"[6].

٤- عند الاستفتاح في الصلاة بـ(الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا): عن

---

[1] إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، تحقيق وتخريج: أبو عبيدة مشهور بن حسن وأبوعمر أحمد بن عبدالله، ط١(المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي للنشر، ١٤٢٣هـ)، ج٤/٥١٩.

[2] يزيد بن ابان الرقاشى بصري روى عن أنس بن مالك والحسن وغنيم بن قيس، كان شعبة يحمل عليه وكان قاصا. ينظر: التاريخ الكبير، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، د.ط(حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، د.ت)، ج٨/٣٢٠.

[3] أخرجه أبو داوود الطيالسي في مسنده، مسند(يزيد بن أبان عن أنس) ج٣/٥٧٦ (٢٢٢٠). مسند أبي داوود الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، تحقيق: الدكتور محمد التركي، ط١(مصر، دار الهجرة، ١٤١٩هـ). صححه الألباني في صحيح الجامع(٨٠٣). صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين الألباني، د.ط(الناشر المكتب الإسلامي، د.ت).

[4] هو عبدالله بن السائب بن صيفي بن عائذ المخزومي، من قراء القرآن وأخذ عنه مجاهد، سكن مكة وكان قارئ فيها، ومات في إمارة ابن الزبير عليها وصلى عليه ابن عباس. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي معوض، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ج٤/٨٩.

[5] أخرجه الترمذي في سننه ، باب(ما جاء في الصلاة عند الزوال)، ج٢/٣٤٣ (٤٧٨)، صححه الألباني.

[6] أخرجه أحمد في مسنده، مسند (عبدالله بن مسعود رضي الله عنه) ج٣/٥٤٠ (٣٦٧٣). مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: أحمد شاكر، ط١(القاهرة، دار الحديث، ١٤١٦هـ). صححه الألباني، ينظر: ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ج٢/١٩٩(٤٥١).

ابن عمر رضي الله عنه قال: "بينما نحن نصلي مع رسول الله إذ قال رجل من القوم: الله أكبر كبيرا والحمدلله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا، فقال رسول الله: من القائل كلمة كذا وكذا؟ قال رجل من القوم: أنا يارسول الله، قال: عجبت لها فتحت لها أبواب السماء، قال ابن عمر: فما تركتهن منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك"[١].

٥- المرابطة والانتظار بين الصلاتين: عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه- قال: صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب، فرجع من رجع، وعقب من عقب، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرعا، قد حفزه النفس، وقد حسر عن ركبتيه، فقال: " أبشروا، هذا ربكم قد فتح بابا من أبواب السماء، يباهي بكم الملائكة، يقول: انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضة، وهم ينتظرون أخرى "[٢].

٦- أنواع من الذكر مثل: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : "ما قال عبدٌ لا إله إلا الله قَطّ مخلصاً إلا فُتحت له أبوابُ السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر"[٣].

هذه بعض الأحاديث التي ورد فيها الأوقات التي تفتح فيها أبواب السماء وتثبت فضلها عن سائر الوقت؛ ويدل ذلك على صحة معتقد الجمهور من أهل السنة أن الأصل في أبواب السماء الغلق.

أخيرا، إذا كان الأصل في أبواب السماء الإغلاق وأنها تفتح في حالات وأوقات فلابد من الإشارة إلى أن هناك جانب فصّل فيه العلماء وهو من تغلق دونه أبواب السماء دائما سواء من أرواحهم أو أعمالهم أو الإثنين معا سواء من المسلمين أو الكفار.

غلق أبواب السماء دون الكفار:

يقول الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾} [سورة الأعراف: ٤٠]، جاء في الآية الكريمة المعنى الشرعي للكفر الأكبر الذي تغلق أبواب السماء في وجه صاحبه، ولقد جاء في معنى الآية الكريمة: إن الذين كذبوا بحججنا وأدلتنا فلم يصدقوا بها، ولم يتبعوا رسلنا واستكبروا عنها أي وتكبروا عن التصديق بها وأنفوا

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه، باب (ما يقال بين تكبيرة الإحرام والإقامة)، ج١/٤٢٠ (٦٠١).

[٢] أخرجه ابن ماجه في سننه، باب(لزوم المساجد وانتظار الصلاة)، ج١/٢٦٢ (٨٠١)، صححه الألباني. سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبوعبدالله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، د.ط(الناشر: فيصل عيسى البابي، دار إحياء الكتب العربية).

[٣] أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب دعاء أم سلمة، برقم ٣٥٩٠، وقال: ((هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه))، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٥٦٤٨.

من اتباعها والانقياد لها تكبرًا " لا تفتح لهم"، لأرواحهم إذا خرجت من أجسادهم "أبواب السماء"، ولا يصعد لهم في حياتهم إلى الله قول ولا عمل، لأن أعمالهم خبيثة، وإنما يُرْفع الكلم الطيبُ والعملُ الصالح، كما قال جل ثناؤه: { إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ } [سورة فاطر: ١٠]، وقد اختلف أهل التفسير في معنى قوله تعالى: (لاتفتح لهم أبواب السماء) فذهب فريق للقول بالعموم، أي: لا تفتح أبواب السماء لا لأرواحهم ولا أعمالهم، وهو ما اختاره الإمام أبو جعفر الطبري[١]؛ لعموم خبر الله جل جلاله أن أبواب السماء لا تفتح لهم. ولم يخصص الخبر بأنه يفتح لهم في شيء[٢]. وذهب البعض إلى التخصيص، حيث ذكر ابن القيم رحمه الله[٣]: أن السماء تغلق دون أرواح الكفار وأجسادهم فلا تفتح لهم. وذكر الماوردي قول (ابن عباس): أي لا تفتح لأرواحهم، وذكر قول (الحسن البصري): لا تفتح لدعائهم [٤].

وبالعموم فإن من قال بالغلق دون الأرواح لم ينكر غلقها دون الأعمال، أما عن دعوة المظلوم الكافر فهي مستثناة من عدم فتح باب السماء لها وذلك لعدل الله عز وجل وتحريم الظلم العام على الجميع، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرا فإن ليس دونها حجاب" [٥].

غلق أبواب السماء دون المسلمين:

إن الله سبحانه وتعالى يفتح أبواب السماء لأرواح المؤمنين، ولكثير من الأعمال الصالحة والكلام الطيب، إلا أن هناك بعض الأعمال يغلق الله فيها أبوابها ولو كان العامل مسلما، منها:

١-صلاة من أم قوما وهم له كارهون: عن جنادة بن أبي أمية[٦] رضي الله عنه أن رسول الله صلى

---

[١] هو محمد بن جرير ابن يزيد أبو جعفر الطبري، صاحب التاريخ المشهور، وكتابه في التفسير لم يصنف أحد مثله، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة، واختيار من أقاويل الفقهاء، وتفرد بمسائل حفظت عنه، وتوفي سنة ٣١٠هـ. ينظر: طبقات الفقهاء الشافعية، عثمان بن عبدالرحمن تقي الدين المعروف بابن الصلاح، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، ط١(بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٩٩٢م)، ج١/١٠٦-١٠٧.

[٢] ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ)، ج١٢/٤٢٢.

[٣] ينظر: الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، محمد أبي بكر ابن القيم الجوزية، د.ط(بيروت، دار الكتب العلمية. د.ت)، ص١٨٤.

[٤] ينظر: تفسير الماوردي(النكت والعيون)، أبو الحسن علي بن محمد البغدادي الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، د.ط(بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)ج٢/٢٢٢.

[٥] أخرجه أحمد في مسنده، ج٢٠/٢٢ (١٢٥٤٩)، صححه الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة) ج٢/٣٩٥ (٧٦٧).

[٦] هو جنادة بْن أَبِي أمية الأزدي، أبو عبدالله، له صحبة، نزل مصر، وعقبه بالكوفة، توفي سنة سبع وستين. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير، ج١/٥٥٨.

الله عليه وسلم قال:" من أمَّ قوما وهم له كارهون فإن صلاته لا تجاوز ترقوته"[١]. ومعنى ذلك: أنهم كارهون له ولإمامته لأمر مذموم فيه شرعا، كأن يكون والٍ ظالم أو من تغلب على إمامة الصلاة ولا يستحقها، أو لا يتحرز عن النجاسة، أو يكره هيئات الصلاة، أو يتعاطى معيشة مذمومة، أو معاشر لأهل الفسق ونحوهم، سواء نصبه الإمام أم لا، فإن صلاته لا يرفعها الله رفع العمل الصالح بل أدنى رفع، فتحرم عليه امامتهم إذا وجد من هذه الأوصاف فيه، والكل كاره له، مع العلم أن الحرمة أو الكراهة إنما هي في حقه أما المقتدون الذي يكرهونه فلا تكره لهم الصلاة خلفه[٢].

٢-العبد الآبق[٣]، والمرأة التي باتت وزوجها ساخط عليها[٤]: عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم: العبد الآبق حتى يرجع، ومرأة باتت وزوجها عليها ساخط وإمام قوم وهم له كارهون"[٥].

٣-اللعن: أي الدعوة بالطرد من رحمة الله تعالى، عن أبي الدرداء[٦] رضي الله عنه قال: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:" إن العبد إذا لعن شيئا، صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض، فتغلق أبوابها دونها، فتأخذ يمينا وشمالا، فإذا لم تجد مساغا رجعت إلى الذي لُعِنَ، فإن كان لذلك أهلا، وإلا رجعت إلى قائلها "[٧].

٤-دعاء الوالي المحتجب: عن عمرو بن مرة[٨] رضي الله عنه قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم

---

[١] أخرجه الطبراني، ج٢/٢٨٢(٢١٧٧)، حسنه الألباني في(صحيح الجامع) (٦١٠٢).

[٢] ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو عبدالرؤوف بن تاج العارفين المناوي، ط١(مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ)، ج٣/١٣٩ (٢٩٤٨).

[٣] أي الهارب من سيده حتى يرجع.

[٤] هذا إذا كان السخط لسوء خلقها، أو سوء أدبها، أو قلة طاعتها، أما إن كان سخط زوجها من غير جرم، فلا إثم عليها. ينظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن المباركفوري، د.ط(بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، ج٢/٢٨٨.

[٥] أخرجه الترمذي في سنن، باب (ماجاء فيمن أم قوما وهم له كارهون)، ج٢/١٩٣(٣٦٠)، حسنه الألباني في(صحيح الجامع) (٣٠٥٧).

[٦] عويمر بن زيد بن قيس، قاضي دمشق وسيد القراء فيها، هو حكيم هذه الأمة، وروى عدة أحاديث ومات قبل عثمان بثلاث سنين. ينظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد الذهبي، د.ط(القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٧هـ)، ج٤/١٤.

[٧] أخرجه أبو داود في سننه، باب(في اللعن) ج٤/٢٧٧ (٤٩٠٥)، حسنه الألباني في "صحيح الجامع الصغير" ج١/٣٤٣ (١٦٧٢).

[٨] هو عمرو بن مرة بن عبس ابن رفاعة الجهني، أسلم قديما وشهد مع رسول الله عليه الصلاة والسلام أكثر المشاهد، سكن الشام، وكان مجالس لمعاذ ابن جبل وتعلم منه القرآن وسنن الإسلام. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير، ج٣/٧٦٦-٧٦٧ (ط.الفكر).

قال:" ما من إمام أو وال يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخَلة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خَلته وحاجته ومسكنته"[1]، قيل: الحاجة ما يهتم به الإنسان وإن لم يبلغ حد الضرورة بحيث لو لم تحصل له لم يختل أمره، والخلة ما يحصل بعدمها الاختلال الذي العيش (والمسكنة) وهؤلاء هم أهل الحاجات إلى الملك والوالي، فالله عز وجل يغلق أبواب السماء دون حاجة هذا الوالي وخلته جزاء وفاقا، فإنه تعالى جعل إليه أمور العباد فيجب عليه رعاية نعمة الله بقضاء حوائجهم[2]. ولابد من الإشارة إلى أن دعوة الوالي المحتجب التي تُغلق دونها أبواب السماء هو من احتجب عن حوائج من يليهم دون عذر، أو من أخرها أو كان قاضيا مثلا وأخر النظر في قضايا الناس بعد رفعها له، ويستثنى من ذلك من اتخذ حاجبا أو بوابا يعينه على أداء مهمته من ترتيب للناس في الدخول عليه أو في ترتيب أولاهم بالتقديم أو من يستحق منهم الرعاية أكثر من غيره، وكذلك أن يكون أن يكون الاحتجاب في غير مجلس الحكم أو في وقت استراحته فلا يدخل في موجبات العقوبة [3].

٤-قاطع الرحم: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا"[4].

وأخيرا على المسلم احترام الأوقات التي تفتح فيها أبواب السماء وأن يستغلها بالعمل الصالح والدعاء وحسن الظن بالإجابة، ويجاهد نفسه بالابتعاد عما يكرهه الله سبحانه ويبغضه من الأقوال والأعمال.

الخاتمة:

بعد استعراض الأحاديث النبوية المتعلقة بالمفاضلة بين الملائكة الكرام فيما بينهم وبينهم وبين البشر، وشرحها، ودراستها دراسة عقدية، يؤكد البحث أن السنة النبوية المطهرة تمثل مصدرا أصيلا في تقرير المسائل العقدية عامة والمتعلقة بباب الإيمان بالملائكة الكرام خاصة، وعليه، فلقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج وتحث على مجموعة من التوصيات.

---

[1] أخرجه أحمد في مسنده، ج٢٩/٥٦٥ (١٨٠٣٣)، صححه الألباني، في " صحيح الجامع الصغير وزياداته" ج٢/٩٩٢ (٥٦٨٥).

[2] ينظر: التنوير شرح الجامع الصغير، محمد بن إسماعيل الحسني الصنعاني، تحقيق: د/محمد إسحاق إبراهيم، ط١(الرياض، مكتبة دار السلام، ١٤٣٢هـ)، ج٩/٤٤٦-٤٤٧.

[3] ينظر: المبدع في شرح المقنع، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ابن مفلح، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ)، ج٨/١٦٤.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب "البر والصلة" باب "النهي عن الشحناء والتهاجر"، ج٤/١٩٨٧ (٢٥٦٥).

النتائج:

١- الإيمان بالملائكة الكرام ركن ثابت من أركان الإيمان الستة، والتي لا يصح إيمان المسلم إلا بالاعتقاد به على الوجه الصحيح.

٢- دلت النصوص الشرعية على أن الملائكة يتفاضلون فيما بينهم، وأن لهم مقامات ومراتب بحسب أعمالهم ووظائفهم وتشريف الله لهم.

٣- أثبتت الدراسة أن مسألة المفاضلة بين الملائكة والبشر مسألة تفصيلية، بحسب مادلت عليه النصوص والأدلة الشرعية.

٤- تقرير عصمة الملائكة الكرام، وأنهم لا يخرجون عن طاعة الله تعالى ولا يخالفون أمره.

٥- إثبات صفة الكلام لله تعالى حقيقة على الوجه الذي يليق به سبحانه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف.

٦- إثبات أن للسماء أبوابا حقيقية تُفتح وتغلق بأمر الله تعالى.

٧- التأكيد على أن دراسة المسائل العقدية المستنبطة من الأحاديث تعمل على سلامة الاعتقاد، وتُنجي المسلم من الوقوع في الشبهات المتعلقة بالأمور الغيبية.

التوصيات:

١- توصي الدراسة بضرورة العناية بباب الإيمان بالملائكة الكرام، لأثر ذلك في ترسيخ الإيمان بالغيب وتصحيح المفاهيم عند المسلمين.

٢- توصي الباحثة بإبراز منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع النصوص النبوية التي تتحدث عن المسائل العقدية، وتظهر وسطيتهم بدون إفراط ولا تفريط.

٣- توصي الباحثة باستغلال المنابر العلمية والدعوية لنشر الاعتقاد الصحيح وبيانه فيما يتعلق بالمسائل الغيبية وفق منهج علمي قائم على وسطية أهل السنة والجماعة.

٤- الدعوة إلى ربط الدراسات العقدية بواقعنا المعاصر، وذلك من أجل الرد على الشبهات الفكرية المعاصرة المتعلقة بالعالم الغيبي.

قائمة المصادر والمراجع:

- الأثري، عبدالله بن عبدالحميد، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، (مدار الوطن، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ).
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبدالكريم عز الدين، أسد الغابة في معرفة الصحابة، د.ط(بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩هـ). وطبعة (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).
- الأثيوبي، محمد بن علي آدم بن موسى، مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه، ط١(الرياض، دار المغني، ١٤٢٧هـ).

- الأشقر، عمر سليمان، عالم الملائكة الأبرار، ط٣(الكويت، مكتبة الفلاح، ١٤٠٣هـ).
- الألباني، أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته، د.ط(الناشر المكتب الإسلامي، د.ت).
- الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، ط١(الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ).
- آبادي، محمد أشرف بن أمير أبو عبدالرحمن شرف الحق ، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، ط٢(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).
- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه " صحيح البخاري"، تحقيق: محمد زهير الناصر،ط١ (دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)
- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، التاريخ الكبير، د.ط(حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، د.ت)
- البغدادي، أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع المعروف بابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ).
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد الشاويش، ط٢(دمشق، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣).
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر و محمد فؤاد عبدالباقي، ط٢(مصر، مطبعة مصطفى البابي، ١٣٩٥هـ).
- التفتازاني، مسعود بن عمر الشهير بسعد الدين، شرح المقاصد، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط٢(بيروت، عالم الكتب، ١٤١٩هـ).
- التويجري، حمود بن عبدالله، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، ط٢(الرياض، دار الصميعي للنشر، ١٤١٤هـ).
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم، النبوات، تحقيق: عبدالعزيز الطويان، ط١(الرياض، أضواء السلف، ١٤٢٠هـ).
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم، مجموع الفتاوى، د.ت(المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ).
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، كتاب الإيمان، تحقيق: محمد ناصرالدين الألباني، ط٥(عمان، المكتب الإسلامي، ١٤١٦هـ).
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، التسعينية، تحقيق: محمد بن إبراهيم العجلان، ط١(الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٢٠هـ).
- الجرجاني، الحسين بن الحسن بن محمد، المنهاج في شعب الإيمان، تحقيق: حلمي محمد فودة، ط١(دار الفكر، ١٣٩٩هـ).
- الجعيد، خالد. وعلي العلياني وناصر الجهني، المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع جمعا ودراسة، ط١(الرياض، دار الفضيلة، ١٤٢٨هـ).
- أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد، الثقات، اشراف: محمد عبدالمحيد خان، ط١(حيدر آباد الهند، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٣هـ).
- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي معوض، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

- الحدادي، زين الدين محمد المدعو عبدالرؤوف بن تاج العارفين، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط١،(مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ).
- ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ،مسند الإمام أحمد بن حنبل، ، تحقيق: أحمد شاكر، ط١(القاهرة، دار الحديث، ١٤١٦هـ).
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ط١(بيروت، دار صادر، ١٩٧١هـ).
- الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط٣(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ).
- الرازي, أحمد بن فارس بن زكريا القزوين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، د.ط (دار الفكر،١٣٩٩هـ).
- الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ط٣(بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).
- الزملكاني، كمال الدين محمد بن علي بن عبدالواحد، تحقيق الأولى من أهل الرفيق الأعلى، تحقيق ودراسة: عبدالعزيز بن عبدالله الجفير، إشراف الدكتور: عبدالعزيز المرشدي، (رسالة دكتوراة مطبوعة).
- السحيم، محمد، كتاب الإيمان الذي فرضه الله على عباده مما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، ط٣(الرياض، دار العقيدة، ١٤٤٣هـ).
- السفاريني، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد ، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، ط٢(دمشق، مطبعة الخافقين، ١٤٠٢هـ).
- السندي، أبو الحسن نور الدين محمد بن عبدالهادي التتوي، حاشية السندي على سنن ابن ماجه=كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، د.ط(بيروت، دار الجيل، د.ت).
- السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين، الحبائك في أخبار الملائك، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد زغلول، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ).
- الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر، الملل والنحل، د.ط(مؤسسة الحلبي، د.ت).
- الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، ط١(دار الكتاب العربي، ١٤١٩هـ).
- الشيخ، ناصر بن علي عايض الشيخ، مباحث العقيدة في سورة الزمر، ط١(مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٥هـ).
- الصابوني، أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن، عقيدة السلف وأصحاب الحديث أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة، تحقيق: ناصر عبدالرحمن الجديع، ط٢(دار العاصمة، ١٤١٩هـ).
- الصفدي، صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، د.ط(بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ).
- ابن الصلاح، عثمان بن عبدالرحمن تقي الدين، طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، ط١(بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٩٩٢م).
- الصنعاني، محمد بن إسماعيل الحسني، التنوير شرح الجامع الصغير، تحقيق: د/محمد إسحاق إبراهيم، ط١(الرياض، مكتبة دار السلام، ١٤٣٢هـ).
- الطبراني، سليمان بن أحمد أبو القاسم، الروض الداني(المعجم الصغير)، تحقيق: محمد شكور محمود/ ط١(بيروت، عمان، دار عمار، ١٤٠٥هـ).

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).
- الطويان، عبدالعزيز، جهود محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، ط١(الرياض، مكتبة العبيكان،١٤١٩هـ).
- الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود، مسند أبي داوود الطيالسي، تحقيق: الدكتور محمد التركي، ط١(مصر، دار الهجرة، ١٤١٩هـ).
- ابن العباس القرشي، أبو عبدالله محمد بن إدريس، اختلاف الحديث (مطبوع ملحق بالأم للشافعي)، د.ط(بيروت، دار المعرفة، ١٤١٠هـ).
- العثيمين، محمد بن صالح، شرح العقيدة الواسطية، اعتنى به: سعد الصميل، ط٦(الرياض، دار ابن الجوزي، ١٤٢١هـ).
- العثيمين، محمد بن صالح، شرح العقيدة السفارينية" الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، ط١(الرياض، دار الوطن للنشر، ١٤٢٦هـ).
- ابن عرفة، محمد بن محمد الورغمي التونسي، تفسير الإمام ابن عرفة، تحقيق: د/حسن المناعي، ط١(تونس، مركز البحوث بالكلية التونسية، ١٩٨٦م).
- ابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء الدين، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبدالله بن الحسن التركي، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٠، ١٤١٧هـ).
- العكري، أبو الفلاح عبدالحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرنؤوط، ط١(بيروت، دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ).
- العلي، وليد بن محمد، جهود الإمام ابن القيم الجوزية في تقرير توحيد الأسماء والصفات، ط١(دار ابن الجوزي، المام، ١٤٢٣هـ).
- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد الحنفي بدر الدين، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، د.ط(بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت).
- الغنيمان، عبدالله بن محمد، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، ط١(المدينة المنورة، مكتبة الدار، ١٤٠٥هـ).
- الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور العطار، ط٤(دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ).
- الفوزان، صالح بن فوزان، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، ط٣،(مؤسسة الرسالة، ١٤٢٣هـ).
- القاضي عبدالجبار، عبدالجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، تعليق: الإمام أحمد بن أبي هاشم، تحقيق: عبدالكريم عثمان، د.ط(القاهرة، مكتبة وهيبة، د.ت).
- القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض، شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى إكمال المعلِم بفوائد مسلم، تحقيق الدكتور: يحيى إسماعيل، ط١(مصر، دار الوفاء للطباعة، ١٤١٩هـ).
- ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق وتخريج: أبو عبيدة مشهور بن حسن وأبو عمر أحمد بن عبدالله، ط١(المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي للنشر، ١٤٢٣هـ).
- ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، بدائع الفوائد، تحقيق: علي العمران، ط١(دار عالم الفوائد، مكة المكرمة،١٤٢٥هـ).
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، د.ط(بيروت، دار الكتب العلمية. د.ت).

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).
- الكرماني، محمد بن يوسف شمس الدين الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، ط٢(بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠١هـ).
- اللكنوي، أبو الحسنات محمد عبدالحي، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، تحقيق وتصحيح: محمد بدر الدين النعساني، ط١(مصر، دار السعادة، ١٣٢٤هـ).
- ابن ماجه، أبوعبدالله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، د.ط(الناشر: فيصل عيسى البابي، دار إحياء الكتب العربية).
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البغدادي، تفسير الماوردي(النكت والعيون)، تحقيق: السيد ابن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، د.ط(بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).
- المباركفوري، أبو العلا محمد عبدالرحمن، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، د.ط(بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، د.ط (دار الدعوة، القاهرة).
- المزي، أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف جمال الدين، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار معروف، ط١(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ).
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، د.ط (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤هـ).
- ابن المفلح، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، المبدع في شرح المقنع، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).
- ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي الشافعي المصري، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط١(دمشق، دار النوادر، ١٤٢٩هـ)،
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، ط٣(بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ).
- آل مهدي، فالح بن مهدي، التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، ط٣(المدينة المنورة، مطبعة الجامعة الإسلامية، ١٤١٣هـ).
- المنياوي، أبو المنذر محمود بن محمد، الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان، ط١(مصر، مكتبة ابن عباس، ١٤٢٦هـ).
- نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ).
- النملة، عبدالكريم بن علي، المهذب في علم أصول الفقه المقارن، ط١(مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٠هـ).
- الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، د.ط(القاهرة، مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ).